جـــــامعة الجيـــلالي بونـــعـامة
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
شعبة علوم إنسانية
قسم التاريخ
تخصص : دراسات إفريقية

العنوان :

القيروان و دورها في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و بلاد السودان الغربي (القرن 2 -8 هـ)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

التخصص : دراسات إفريقية

من إعداد الطالبين :

✓ أحمد قارح .
✓ أمين راهب .

تحت إشراف الأستاذ:

زرقوق محمد

السنة الجامعية : 2016/2015 .

جـــــامعة الجيـــلالي بونـــعامة
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
شعبة علوم إنسانية
قسم التاريخ
تخصص : دراسات إفريقية

العنوان :

القيروان و دورها في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و بلاد السودان الغربي (القرن 2 -8 هـ)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

التخصص : دراسات إفريقية نوقشت يوم : .....

من إعداد الطالبين :

- ✓ أحمد قارح .
- ✓ أمين راهب .

اللجنة :

الرئيس : ..... الرتبة : .....
المشرف : أ . زرقوق محمد . الرتبة :.....
الممتحن : ..... الرتبة : .....

السنة الجامعية : 2016/2015 .

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

الحمد لله الذي وفقني و سدد خطاي لأنهاء هذا العمل المتواضع الذي أهديه إلى التي سهرت على تربيتي و حرصت على نجاحي و شجعتني : " **أمي الغالية** " .

إلى الذي أفنى عمره في تربيتي : " **أبي العزيز** " حفظه الله .

إلى كل أفراد عائلتي .

إلى ابنة أختي الكتكوتة " **روان** " .

إلى كل أساتذة تخصص تاريخ بجامعة الجيلالي بونعامة .

إلى كل من مد لي يد العون لإنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد .

أحـــمد

إهـــداء

اهدي ثمرة جهدي:

إليك يا فيض الحنان يا أعظم امرأة في حياتي **أمي الغالية**.

إليك يا من علمني الإحسان والصدق **أبي العزيز**

أسأل الله العلي العظيم أن يحفظكما

إلى بذور الحياة من حولي أخواتي الأعزاء وأخي العزيز وزوجته وأبنائه :

إبتسام ، محمد ، عبد القادر

إلى كل من بنا لنا بنيان العلم و المعرفة أساتذتي الأفاضل في جميع الأطوار ،

وكل كن ساعدني من قريب أو بعيد

أمين

شكر و عرفان

نحمد الله تعالى ونشكره على نعمه وحسن عونه، ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات ربنا وسلامه عليه نتوجه بالشكر و العرفان إلى الأستاذ الفاضل **زرقوق محمد** على قبوله الإشراف على هذا العمل الذي بصرنا بنور بصيرته و صفاء فؤاده بتوجيهاته و نصائحه مدعما بذلك دراستنا ، فنحن مدينون له بفضل لا ينسى ،بارك الله فيه و نفع الباحثين بعلمه .

كما لا يفوتنا ان نتوجه بالتحية والشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة وإلى كافة أساتذتنا المحترمين قسم العلوم الإنسانية بجامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة.

قائـمة المـــختصرات :

- ص : صفحة
- ج : جزء
- م : مجلد
- ط : طبعة
- (د ن) : دون نشر
- (د م) : دون مكان نشر
- (د ت) : دون تاريخ نشر
- (د م ت) : دون مكان نشر و تاريخ نشر
- (د ن م ت) : دون نشر ، دون مكان و تاريخ نشر

مقدمة

مقدمة :

انطلقت الفتوحات الإسلامية نحو بلاد المغرب خلال القرن الأول هجري السابع ميلادي حيث عمل الفاتحون على نشر الإسلام و بناء حواضر جديدة ليستقر فيها المسلمون ، منها مدينة القيروان التي اتخذها الفاتحون في بادئ الأمر قاعدة عسكرية تسهل عملية التوغل في أعماق المنطقة ، لتتحول هذه المدينة فيما بعد إلى مركز إشعاع قوي للحضارة الإسلامية بصفة عامة .

وخلال القرن الثاني الهجري ، تبلورت المذاهب السياسية والفكرية في المشرق، وبدأت المدارس الفقهية في التشكل والتأسيس ، ثم أخذت تنتقل إلى بلاد المغرب ، فدخلت القيروان وأعطت صبغة جديدة للحياة الفكرية بها ، خصوصا المذهب المالكي الذي فرض نفسه كمحرك لسيرورة الأحداث و الوقائع الفكرية و السياسية و الاجتماعية في المنطقة وتحولت القيروان من قاعدة عسكية إلى محطة فكرية منها انطلق هذا المذهب ، وانتشر في مختلف الأقاليم و على وجه الخصوص المغرب الأوسط و بلاد السودان الغربي اللذان هما مجال دراستنا .

والتي إخترنا لها عنوان : " دور القيروان في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي بين القرنين الثاني و الثامن هجري ".

وللموضوع أهمية كبيرة تكمن في :

– لأنه يسلط الضوء على المدرسة المالكية بالقيروان و إبراز دورها في نشر هذا المذهب بالمغرب الأوسط و بلاد السودان الغربي

– دور فقهاء القيروان في نشر المذهب المالكي .

– إبراز أهم فقهاء المالكية في مدينة القيروان و المغرب الأوسط بين القرنين الثاني و الثامن هجري .

– تسليط الضوء على أهم كتب الفقهاء المالكية و التي انتشرت في السودان الغربي .

و لدراسة هذا الموضوع يمكن أن نطرح الإشكالية التالية :

فيما تمثلت مساهمة القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و السودان الغربي خلال الفترة الممتدة مابين (ق 2 – 8 هـ) ؟

و تفرعت هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات التالية :

– فيما تبرز جهود فقهاء المالكية القيروانيين في ترسيخ المذهب المالكي بالقيروان ؟

– ما هي العوامل التي ساهمت في انتشار و تثبيت المذهب المالكي بالمغرب الأوسط ؟

– كيف ساهمت القيروان في نشر المذهب المالكي في السودان الغربي ؟

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع نذكر :

– قلة الدراسات التاريخية المتعلقة بالمذهب المالكي و انتشاره بالمغرب الأوسط ، مقارنة بالدراسات حول دول المغرب الأخرى بداية بإفريقية التي لها قسط وافر من إهتمام الباحثين وكذا المغرب الأقصى والأندلس ، فأغلب الدراسات التي اهتمت بالمغرب الأوسط ، ركزت على الخوارج و الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية .

– قلة الدراسات المتعلقة بدور المغرب الإسلامي و القيروان في نشر المذهب المالكي في غرب إفريقيا خلال العصر الوسيط .

– إبراز الدور الحضاري و العلمي الذي لعبته مدينة القيروان خلال العصر الوسيط في بلاد المغرب الإسلامي خاصة و قارة إفريقيا عامة

– و لأننا ننتمي لقارة إفريقيا و ننتهج مذهب الإمام مالك ، ارتأينا أن نجتهد في هذا الميدان ، ونساهم في تقديم دراسة متواضعة ، للتوصل إلى الدور الكبير الذي لعبته القيروان في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط و بلاد السودان الغربي .

و لدراسة موضوعنا بطريقة منهجية اعتمدنا على المنهج التاريخي العلمي القائم على الوصف و السرد أي وصف الأحداث و الحواضر من الناحية الجغرفية و الثقافية و سرد

الوقائع ، مع ذكر المعلومات المتعلقة بالحكام و العلماء و أيضا المراكز التعليمية ، مع التحري بالدقة و الموضوعية قدر الإمكان ، و اعتمدنا أيضا على منهج مقارنة المعلومات الواردة في المصادر و المراجع للوصول إلى النتائج المرجوة .

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة متبوعة ببعض الملاحق .

في مقدمة عرفنا بالموضوع و طرحنا إشكالية عامة تتفرع إلى عدة تساؤلات و عرض أهم المصادر والمراجع .

تناولنا في الفصل الأول انتشار المذهب المالكي ، و شمل هذا الفصل ثلاثة مباحث رئيسية ، أولها دراسة جغرافية و تاريخية لمدينة القيروان ، و المبحث الثاني تحدثنا فيه عن المذهب المالكي و انتشاره في القيروان ، أما المبحث الأخير تطرقنا فيه إلى التعريف بأهم أعلام المالكية بالقيروان و اتخذنا نموذجين .

وتطرقنا في الفصل الثاني إلى دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و قد وضعنا لذلك ثلاثة مباحث أيضا تناولنا في أولها دراسة جغرافية و سياسية للمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة ، أما المبحث الثاني تناولنا فيه دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط ، و المبحث الثالث أهم أعلام المغرب الأوسط المالكيين و اتخذنا نموذجين .

أما الفصل الثالث جاء تحت عنوان إسهامات القيروان في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي ، و قسمناه إلى مبحثين الأول تناولنا فيه دراسة جغرافية و بشرية للسودان الغربي ، و المبحث الثاني إسهامات القيروان في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي .

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من خلال دراستنا لهذا الموضوع .

و اعتمدنا في هذه الدراسة بالدرجة الأولى على المصادر و المراجع نذكر منها :

1 . المصادر :

أهم الكتب التي اعتمدنا عليها هي كتب الطبقات و التراجم و التي تمثلت في :

كتاب " **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** " للدباغ الذي أفادنا كثيرا في ترجمة أعلام وفقهاء القيروان .

كتاب " **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب** " للقاصي عياض ، اعتمدنا عليه في ترجمة أعلام بالمغرب الإسلامي كافة .

كتاب " **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء الذهب** " لابن فرحون المالكي الذي أفادنا أيضا بمعلومات عن أعلام المالكية .

و اعتمدنا في المرتبة الثانية على كتب الرحلات و الجغرافيا أهمها :

كتاب " **معجم البلدان** " لياقوت الحموي الذي أعطانا تعريفات للمدن و المناطق التي تعلقت بها دراستنا .

كتاب " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " للإدريسي الذي أعطانا تعريفا دقيقا لمدن المغرب الإسلامي .

كتاب " **وصف إفريقيا** " لحسن الوزان الذي يعطينا وصف دقيق لمدن المغرب و إفريقيا وكذا المسافات التي تفصلها عن بعضها البعض .

و اعتمدنا كذلك على كتب الفرق و المذاهب الإسلامية :

كتاب " **الملل و النحل** " للشهرستاني ، و كتاب " **الفرق بين الفرق** " للبغدادي ، ساعدانا على تعريف الفرق و المذاهب المنتشرة بالمغرب الإسلامي .

أما كتب التاريخ فقد اعتمدنا على :

كتاب " **البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس و المغرب** " لابن عذارى المراكشي اعتمدنا عليه في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي .

كتاب " **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" أفادنا في تاريخ الدول .

كتاب " **تاريخ السودان** " للسعدي ساعدنا في معرفة تاريخ السودان الغربي .

2 . المراجع :

اعتمدنا علي العديد من مراجع التاريخية نذكر منها :

كتاب " تاريخ الجزائر العام " لعبد الرحمان الجيلالي ، كتاب " الإسلام و المجتمع في إمبراطورية مالي ، كتاب" مباحث في المذهب المالكي في المغرب " لعمر الجيدي ، كتاب " المذهب المالكي بالغرب الإسلامي " لنجم الدين الهنتاني .

3 . المذكرات و الرسائل الجامعية :

سعيدة لوزيري " المذهب المالكي بالمغرب الأوسط " ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر ، جامعة الجزائر ، 2009 – 2010 .

مزيان وشن "مدرسة عبد الله بن أبي زيد المالكية و أثرها العلمي في المغرب الإسلامي ، رسالة لنيل شهادة ماجستير ، 2006 – 2007.

و هذه هي أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها

أما فيما يخص الصعوبات و المعيقات التي واجهناها نذكر :

1 – ضيق الوقت فمذكرة كهذه تحتاج إلى وقت أطول لإنجازها .

2 – قلة المادة التاريخية التي تتحدث عن الموضوع و على وجه الخصوص المتعلقة بالمغرب الأوسط و بلاد السودان .

بالإضافة إلى عدة صعوبات مشقات لا نريد الخوض فيها .

- **<u>الفصل الأول</u> : انتشار المذهب المالكي بالقيروان**

-المبحث الأول : نبذة جغرافية وتاريخية عن مدينة القيروان .

-المبحث الثاني : انتشار المذهب المالكي بمدينة القيروان .

-المبحث الثالث : أهم أعلام المالكية بالقيروان .

لقد كان لتأسيس القيروان سنة 50هـ دور في بداية بروز الثقافة الإسلامية و توطينها في افريقية ومن ثمة انتقالها إلى المناطق المجاورة وقد تحولت هذه المدينة التي إستقر فيها المسلون واتخذوها عاصمة لها في بلاد المغرب ، إلى مركز للإشعاع الحضاري، وانتقلت إليها علوم المشرق ومذاهبها ، و منها المذهب المالكي الذي كانت مدينة القيروان أول من يحتضنه ، واكتسب مكانة بين عرب وبربر المغرب ، ثم بدأ ينتشر في الأقاليم المجاورة .

المبحث الأول : نبذة جغرافية وتاريخية لمدينة القيروان[1]

أولا : تحـديد الموقع[2] ووصف المصادر العربية لها

تقع مدينة القيروان في جمهورية تونس الحالية ، و قد حددتها المصادر العربية من جغرافيين و رحالة منذ عصور متقدمة حيث يذكر البكري (ت487) : " أنها في بساط من الأرض مديد فالجوف[3] منها بحر تونس .

[1]- هي كلمة عربت عن الفارسية كاروان و التي تعني محطة الجند . (انظر : الرقيق القيرواني (إبراهيم بن القاسم ت بعد 418هـ) : تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني ، القاهرة ، 1994 . ص41) .

[2]- انظر: الملحق رقم 01

[3]- الجوف هو المطمأن من الأرض وجوف الإنسان بطنه وهنا أن الماء صادف أرضا خوارة فاستوعبته ، و الجوف من الأرض أوسع من الشعب تسيل فيه التلاع والأودية .(أنظر: ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) . م9 ، ص34- 36).

و في الشرق بحر سوسة[1] و المهدية[2] و بحر سفاقس وقابس[3] و بين مدينة القيروان و البحر من جهة الشرق مسيرة يوم تقريبا[4] " ، أي أنها تبعد عن البحر المتوسط حوالي ثلاثين ميلا[5] تقريبا[6] وبينها و بين الجبل مسيرة يوم[7] ، و شرقيها سبخة بها ملح طيب و نظيف[8] كما تبعد القيروان عن مدينة تونس نحو مائة ميل[9] .

فهي واقعة في الإقليم الثالث حسب تقسيمات الجغرافيين العرب للأرض ، فطولها ثلاثون

---

[1]– سوسة مدينة كبيرة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد مائة ميل من تونس . (أنظر : الوزان حسن (الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت بعد 957هـ) : وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 . ط2 ، ج2 ، ص83،84 .

[2]– مدينة بتونس بناها المهدي الشيعي على ساحل البحر المتوسط فوق كتلة صخرية داخل البحر . (أنظر : نفسه. ص85،86) .

[3]– مدينة بين طرابلس و سفاقس على ساحل البحر فيها نخل و بساتين حيث تقع غربي طرابلس الغرب . (انظر : نفسه . ص89) .

[4]– البكري أبو عبيد الله (ت487هـ) : المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د.ت). ص32 .

[5]– الميل هو قدر منتهى البصر عند اهل اللغة ، و عند الجغرافيين العرب هو ثلاثة ألاف ذراع بذراع الملك و الذراع ثلاثة أشبار و الشبر ستة و ثلاثون اصبعا و الأصبع خمس حبات شعير مضمومات بطون بعضها إلى بعض و قيل الميل ألفا خطوة و ثلاثمائة و ثلاثة خطوة ، و ثلاثة اميال يساوي فرسخ . (أنظر : ابن منظور: مصدر سابق . م11 ، ص639 ، ياقوت الحموي (شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت 626 هـ) : معجم البلدان ، تصحيح : محمد أمين الحانجي ، أحمد بن الأمين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1906 . م1 ، ص36 .) .

[6]– الوزان حسن : نفسه . ج2 ، ص87 .

[7]– البكري : نفسه . ص32.

[8]– نفسه .

[9]– الوزان حسن : نفسه. ج2 ، ص87 .

درجة[1] و عرضها أربعون درجة و أربعون حسب ياقوت الحموي في معجمه[2] .

أما اليعقوبي الذي عاش في القرن الثالث هجري فيعطي لنا معلومات عن المسافات التي تفصل القيروان عن المدن القريبة و المجاورة لها فيقول : " و يفصل بينها و بين مدينة قابس أربعة مراحل[3] ... و تفصلها عن مدينة سوسة التي بالجهة الشرقية مرحلة وتفصلها عن سوفطرة[4] مرحلتان خفيفتان و من القيروان إلى مدينة الأربس[5] ، و أربعة مراحل بينها و بين مدينة يقال لها مجانة و بها هذه المدينة معادن الفضة و الكحل و الحديد و الرصاص[6] ، و في الشمال الشرقي منها تقع مدينة قفصة[7] و تبعد عنها أربعة مراحل و قفصة هي مركز بلاد إفريقية[8].

و بهذا قمنا بجمع المعلومات التي تتحدث عن موقع مدينة القيروان من بعض مصادر المسلمين – لا نستطيع التعرض لها كلها حيث رأينا انها ستشغل حجم كبير من بحثنا –

---

[1]– مصطلح استعمله المنجمون (الفلكيون) و معناه المسافة التي تقطعها الشمس في اليوم والليلة من الفلك و في مساحة الأرض هو خمسة و عشرون فرسخا ، و تنقسم الدرجة إلى ستين دقيقة . (أنظر : ياقوت الحموي ، نفسه . ص39).

[2]– نفسه . م4 ، ص420.

[3]– المرحلة تعادل تقريبا 25 كلم .

[4]– مدينة كبيرة فيها قوم من قريش و من قضاعة و غيرهم . (انظر : اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن وهب بن جعفر بن واضح بن أبي يعقوب ت 284 هـ) : البلدان ، مطبع بريل ّ، مدينة ليدن ، 1806 . ص66).

[5]– مدينة كبيرة بها أخلاط من الناس . (أنظر : نفسه . ص66) .

[6]– نفسه . ص67.

[7]– هي بلدة صغيرة بإفريقية من ناحية المغرب و بينها و بين القيروان مسيرة ثلاثة أيام مختطة في أرض سبخة . (انظر : ياقوت الحموي : نفسه. م4 ، ص382) .

[8]– الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن إدريس ت) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 . م1 ، ص273 .

في العصر الوسيط عندما عرفت أوج إشعاعها الحضاري ، مستعينين بحسن الوزان الذي يعطينا بعض الحسابات عن المسافات التي تفصلها غن المدن المجاورة لها وعن البحر وذلك لأننا لم نهتدي إلى مراجع تعطينا التحديد الدقيق للمدينة في العصر الوسيط فالمراجع التي تحصلنا عليها تتحدث فقط عن كيفية التأسيس .

و بالتالي فإن مدينة القيروان تقع في وسط البلاد تميل قليلا إلى ناحية الشرق و لا تطل على شاطئ بحري بل توجد مدن تفصلها عنه[1] .

. وصف مدينة القيروان في المصادر العربية :

تصف المصادر العربية مدينة القيروان أنها على أنها أجل مدينة بالمغرب ، كمدينة قرطبة بالأندلس[2] و هي أكثر المدن تجارة و أموالا و أحسنها منازلا و عمرانا و أسواقا و فيها ديوان بلاد المغرب إليها تسير الجباية و بها دار السلطان[3] .

و تتصل بمدينة القيروان مدينتين و قد استحدثتا في عهد ظهور الدول ببلاد المغرب هما مدينة صبرة و مدينة رقادة ، فالأولى متصلة بمدينة القيروان بناها اسماعيل الشيعي و سماها المنصورة و كانت بها جباية كثيرة يقال أنه كان يدخل أحد أبوابها في كل يوم ستة و عشرون

[1]- أنظر الملحق رقم 01 .

[2]- الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي) : مسالك الممالك . (د ن م ت) ، ص34.

[3]- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت) : صورة الرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 . ص87 .

ألف درهم[1] .

و المدينة الثانية هي مدينة رقادة تبعد من القيروان أربعة أميال و هي مدينة كبيرة محيطها أربعة و عشرون ألف ذراع و كانت أكثر بلاد إفريقية[2] بساتين و فواكه[3] .

و بخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا[4] و التي كانت تجمع فيها المياه لكي يسقى بها أهل المدينة منها ما بني في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، و أكبر و في وسطه صومعة في أعلاها قبة إذا وقف الرامي على ضفته و رمى بأشد قوته لا يدرك هذه البرك ما بني في عهد الأغالبة[5] حيث بني بباب القيروان ، و هو مستدير في منتهى الكبر الصومعة[6] و يتصل بهذا الماجل ماجل أصغر منه يصب فيه ماء الوادي فإذا ملأ هذا الصغير فإن مائه ينتقل إلى الكبير ، و يتصل بهذا الماجل قصر عظيم عجيب البناء تطل شرفه على الماجل[7] .

---

[1]- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار (جزء وصف إفريقية) . (د ن م ت) . ص6 .

[2]- وتتمثل افريقية في تونس حاليا .

[3]- نفسه . ص6 .

[4]- هو عبارة عن حوض كبير تجمع فيه المياه . (أنظر الملحق رقم :08) .

[5]- الدولة الأغلبية قامت سنة 184هـ إثر إتفاق بين هارون الرشيد العباسي و إبراهيم بن الأغلب مع هارون الرشيد على أن تكون الإمارة في ذريته ، و سقطن هذه الدولة على يد الفاطميين سنة 296هـ . (أنظر : الطويلي أحمد : تاريخ القيروان الثقافي و الحضاري ، منشورات المتوسط ، تونس ، 2009 . ص3 .

[6]- مجهول : مصدر سابق . ص6 .

[7]- نفسه . ص5 .

ثانيا : تأسيس مدينة القيروان

أسست مدينة القيروان سنة 50هـ على يد عقبة بن نافع[1] الذي ولاه معاوية بن أبي سفيان[2] عقبة و طاف إفريقية ، وقد رأى عقبة أن معظم قبائل البربر التي دخلت الإسلام قد ارتدت بمجرد رجوعه فتوجب عليه أن يتخذ مدينة له يجعلها معسكرا لفرسانه و للمسلمين ليرتاحوا البلاد التي ارتدت عن الإسلام[3] ، فبحث هو وأصحابه عن مكان إلى أن وصلوا إلى واد كثيف الأشجار تأويه مختلف الحيوانات من سباع و أفاع و عقارب و كان هذا المكان عبارة عن سبخة تصلح للرعي بعيدا عن شاطئ البحر مأمونا من هجمات الروم ، فرأى عقبة أنه مكان استراتيجي و مناسب ، فقرر بناء مدينته و تذكر المصادر أنه دعا ثم نادى الحيوانات الموجودة هناك قائلا : " أيتها الحيات و السباع إنَّا أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم حلوا عنا فإنا نازلون و من و جدناه بعد ذاك قتلناه " ، فإذا بالحيوانات بدأت ترحل ، فرأى ذلك مجموعة من البربر فأسلموا[4] .

---

[1]- هو عقبة بن نافع بن عبد قيس ن لقبط بن عامر ابن أمية بن طرف ابن حارث بن فهر ، أما عن تاريخ ميلاده فالراجح أنه ولد قبل وفاة الرسول عليه الصلاة و السلام بسنة واحدة . (أنظر: المراكشي ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س كولان ، إ . ليفي برونفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 . ط3 ، ج1 ، ص14) .

[2]- ينتسب معاوية بن أبي سفيان إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي و أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس و كانت أمية من سادات قريش ، ولد بمكة قبل البعثة بخمس سنين و أسلم يوم فتح مكة ، و هو مؤسس الدولة الأموية التي دامت الى غاية 132هـ ، و قد ملكا قويا فصيحا بليغا توفي في شهر رجب سنة 60هـ . (أنظر : حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي ، مكتبة النهضة ، القاهرة، 1996. ط4 ، ج1، ص223-233) .

[3]- ابن عذارى : نفسه . ص14 .

[4]- نفسه .

فقام عقبة في أصحابه و قال : "هذا قيروانكم[1]" – أي معسكركم – ، و في سنة 51هـ بدأ عقبة ببناء المدينة ففي البداية قام بتأسيس دار الإمارة و بناء المسجد الأعظم[2] و بدأ المسلمون ببناء مساكن لهم بالمنطقة و كان عقبة يقوم بالفتوحات و إرسال الغنائم و السرايا إلى القيروان و أدخل عدد كبير من البربر للإسلام[3] ، و أصبحت القيروان مركزا للإسلام و المسلمين في بلاد المغرب و يذكر الدباغ أنها قد نالت البركة بدعاء الصحابة لها فقد روي أن عقبة كان يقول حين التف الناس حوله : " اللهم املأها علما و فقها و عمرها بالمطيعين لك ، و العابدين و اجعلها عزا لدينك و ذلا لمن كفر بكّ ، و اعز بها الإسلام الاسلام و امنها من جبابرة الأرض ...[4] " ، كان عقبة بن نافع يقوم بالصلاة في المسجد هو و أصحابه و بدأ ينشر تعاليم الإسلام هناك و اقبل الناس في بناء المساجد حتى بلغت زهاء ثلاثمائة مسجد[5] ، و أصبحت مركزا يقصده الزهاد[6].

---

[1]– ابن عبد الحكم (ت257هـ) : فتوح مصر و المغرب ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، شركة المل للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د ت) . ص265 .

[2]– ابن عذارى : مصدر سابق . ص15 .

[3]– ابن عبد الحكم : نفسه . ص265 .

[4]– الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي ت696هـ) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله و علق عليه : أبو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ) ، تصحيح : ابراهيم شبوخ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1968 . ط2 ، ج1 ، ص 7 ، 8 .

[5]– محمد زيتون محمد : القيروان و دورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، 1988 . ص83 .

[6]– المراكشي عبد الواحد : المغرب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد زينهم ، محمد عزب ، دار الفرحاتي ، القاهرة . ص287 .

و بذلك يعتبر تأسيس المدينة انتصارا كبيرا للمسلمين في بلاد المغرب و خاصة بعد بناء المسجد الكبير[1] حيث كان المسلمون يدرسون هناك تفسير الآيات القرآنية و الحديث النبوي الشريف و يتذاكرون بصفات رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و هكذا بقيت القيروان في عز و مجد في عصر عقبة بن نافع[2] و أضحت قاعدة عسكرية حربية منها تقوم الفتوحات الإسلامية و مركزا لطلب العلم يتجه إليه كل سكان المغرب و هذا كله بفضل موقعها الجغرافي الهام مما زاد في مواردها بفضل الموانئ القريبة منها المطلة على البحر المتوسط وشهدت ازدهارا لقرون طويلة[3] .

و في القرن الثاني هجري أصبحت القيروان تعد جامعا لطلب العلم و أم المدائن الإسلامية و ذلك لتعدد نشاطات هذه المدينة التي أصبحت نواة لبلاد المغرب و مصر[4] ، و هذا ما جعلها دار ملك المسلمين حيث كان يتداول عليها الأمراء من بني أمية و بني العباس ، و كانت مع مرور الوقت المركز الذي ينتسب إليه أكابر العلماء و الفقهاء[5] .

---

[1]- هو جامع قام عقبة بن نافع ببناءه و خط محرابه و كان يصلي فيه مع المسلمين و قد هدم سنة 83هـ و أعاد كل حاكم يولى على إفريقية بناءه من جديد محافظا على محراب عقبة . (أنظر : زينب نجيب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، تقديم : أحمد ابن سودة ، دار الأمير ، بيروت، 1995 . ج2 ، ص34 ، ، انظر الملحق رقم : 07) .

[2]- نفسه . ص23 ، 24 .

[3]- الصلابي علي محمد : الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي : مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، 2007 . ص 125 .

[4]- لقبال موسى : المغرب الإسلامي ، الشركة الوكنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 . ط2 ، ص33 ، 34 .

[5]- المراكشي : مصدر سابق . ص287 ، 288 .

المبحث الثاني : انتشار المذهب المالكي بمدينة القيروان

يجدر بنا قبل التطرق إلى وصول المذهب المالكي إلى مدينة القيروان و انتشاره في كامل ربوعها والإستقرار بها حتى من أهم مراكز الفقه المالكي أن نعطي نبذة تاريخية عن نشأة المذهب المالكي .

أولا : نشأة المذهب المالكي

لقد نشأ المذهب[1] المالكي كضرورة اجتماعية بعد عصر الفتوح و احتياج المسلمين للأحكام الشرعية في وقائع جديدة لم تكن موجودة لم تكن في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، فبفضل هذا المذهب أصبح هناك انتشار واسع للإسلام في مشارق الأرض و مغاربها .

أ. التعريف بالإمام مالك :

لقد اختلف المؤرخون في سنة مولده فقيل 90هـ و هناك من قال 93هـ و بعض المصادر الأول هجري[2] و على الأصح ولد سنة 93هـ عام موت أنس خادم رسول الله عليه الصلاة والسلام و ذلك حسب ما روته بفيها عض الروايات أن مالك قال ولدت سنة 93هـ بالمدينة

---

[1]- المذهب في الأصل مأخوذ من الذهاب و في اللغة الطريق و مكان الذهاب مثلا ذهب القوم في طرق شتى ، أما عند المتأخرين فيعني به ما أوردته المذاهب من فتوى في أي مسألة و هو لم يكن معروفا موجودا بين المسلمين في عصر الأئمة أصحاب المذاهب و حدث هذا في القرن الرابع هجري عندما دعت الظروف إلى نوع من الالتزام بمنهاج معين في الفقه و التشريع . (أنظر : الجيدي عمر . مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، الهلال العربية ، الرباط ، 1993 . ص9 .) .

[2]- أبو زهرة محمد : مالك حياته و عصره آراؤه و فقهه ، دار الفكر العربي ،(د ت م) . ط2 ، ص24 .

حيث نشأ فيها[1] .

أما نسبه فهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن فثيل بن عمرو بن حارث[2] ، و أمه تسمى العالية ابنة شريك الأزدية[3] ، وكان جد والده أبو عامر صحابي جليل شهد المغازي مع الرسول صلى الله عليه و سلم خلال بدر و روي عنه أن جده مالك كان من كبار التابعين و علمائهم و هم من الأربعة الذين حملوا عثمان بن عفان[4] إلى قبره ليلا و دفنوه[5] .

و قد حفظ مالك القرآن وهو في سن العاشرة من عمره ، بالإضافة إلى الحديث ، أرسلته أمه إلى المسجد النبوي ليتلقى العلم على يد ربيعة الذي اختاره من بين كل الشيوخ لأنه كان يعتبر عالما متميزا بفقهه في الرأي ، فكان مالك يجلس إلى ربيعة ليستمع الأحاديث ، و مع أواخر النهار يعيد على نفسه فإذا نسي شيئا يذهب إلى شيخه ليحفظ ما نساه[6] .

---

[1]– معشاشة سعيد أبو عبد الرحمان : المقلدون و الأئمة الأربعة رحمهم الله ، دار ابن حزم ، بيروت 1999 . ص38 .

[2]– ابن فرحون المالكي (ت799هـ) : الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : أحمد عبد الرحمن ، دار التراث ، القاهرة (د ت) . ج1 ص56 .

[3]– هروس مصطفى : المدرسة المالكية الأندلسية ، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، المغرب ، 1997 . ص21 .

[4]– هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية عبد شمس بن عبد مناف و يكنى أبا عبد الله و أمه أروى ، كان كثير الجود و الكرم و السماحة و هو ثالث الخلفاء الراشدين . (أنظر : المسعودي (أبي الحسن علي) : مروج الذهب و معادن الجوهر، مراجعة : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت (د ت) . ج2 ، ص261 .

[5]– القاضي عياض (أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت 544هـ) : ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تصحيح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية بيروت ،1998 . ج1 ، ص113 .

[6]– الشرقاوي عبد الرحمان : ائمة الفقه التسعة ، دار الشروق ، القاهرة ، 1991 . ص 75 ، 76 .

و إن نشأة مالك في بيئة علمية عريقة زادته في الإقبال على شيوخ المدينة اخذ العلم منهم، و هذا ماجعله بمثابة منبع للفقه الإسلامي ، فهو لم يغادر المدينة إلا لفريضة الحج أو سنة العمرة ، وتوفي عالم المدينة رحمه الله عام 179هـ[1] .

ب . تعريف المذهب المالكي :

لقد ظهر مصطلح المذهب المالكي في زمن متأخر عن صاحبه و كذلك لم يظهر في عصر تلامذته و حتى تلامذة تلامذته ، فنجد الإمام سحنون الذي درس على تلامذة مالك صاحب المدونة الكبرى لم يستعمل هذا المصطلح ، بل كانت مدونته تحوي أراء مالك وأقواله[2]

و الإمام مالك لم يؤسس مذهبا خاصا به واضعا أصوله و قواعده و إنما ورثه و سار عليه ، و من هنا فقولنا : " المذهب المالكي " ، لا يكون سليما إلا بمعنى أن هو المذهب الذي ينتسب إليه مالك ، و ليس المذهب الذي ينسب إلى مالك ، و بيان ذلك كما أن مالك كما هو معلوم ورث علم علماء المدينة و به كان يفتي[3] ، و الموطأ خير شاهد على هذا فهو مليء بالعبارات التالية : الأمر المجتمع عليه عندنا و ببلدنا ، والأمر عندنا، وأدركت اهل العلم...[4].

---

[1]- الرافعي مصطفى : حضارة العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983 . ط2 ، ص299 .

[2]- الهنتاني نجم الدين : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي ، دار تبر الزمان ، تونس ، 2004 . ص28 .

[3]- الرسيوني احمد : نظرية المقاصد عن الإمام الشاطبي ، دار الأمان ، (د م) ، 1991 . ص58 .

[4]- موطأ مالك برواية علي بن زياد التونسي ، تقديم و تحقيق : النيفر محمد الشاذلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1980 .

ج . خصائصه :

نجد أن الإمام مالك تمسك بظاهر النصوص ، و هي ظاهرة مناهضة للتأويلات العقلانية وهذا التمسك يتعلق بالمسائل العقدية مثل القدر و الاستواء على العرش و غيرها[1] ، و كل ما تعلق بها كذات الله وصفاته و أسماءه و الغيبيات من جنة و ناره[2].

و اعتمد فقه الإمام مالك أولا على الكتاب والسنة ثم الإجماع و عمل اهل المدينة والأخذ بالقياس و الاستحسان ، العرف ، سد الذرائع ، المصالح المرسلة ، ثم الرأي .[3]

و من الخصائص التي ميزت ايضا التي ميزت المذهب المالكي كتاب الموطأ ، و هو أول الكتاب مؤلف في الإسلام ، و كان قد طلب منه الخليفة المنصور قد طلب منه أن يضع هذا العلم و يدونه و استغرق في كتابته إحدى عشر سنة من 148هـ إلى 150هـ و أسماه الميسر أي أنه ييسر للمسلمين دينهم[4] .

ثانيا : المذهب المالكي في مدينة القيروان

لقد كان وصول المذاهب الفقهية إلى الغرب الإسلامي في أوقات مبكرة من ظهورها و ذلك في القرن الثاني هجري ، حتى أن أئمتها لا يزالون على قيد الحياة ، و القيروان هي السباقة

---

[1]– الهنتاني نجم الدين : مرجع سابق . ص 34 .

[2]– حنفي عبد المنعم : موسوعة الفرق و الجماعات الإسلامية ، دار الرشيد ، القاهرة ، 1993 . ص338 .

[3]– نفسه . ص339 .

[4]– نفسه .

لاحتضان عن قطري المغرب الآخرين ، حيث دخل كل من المذهبين الحنفي[1] و المالكي في نفس الفترة تقريبا و في هذا خلاف عن أيهما السباق للوصول ، إلا أن جل الدراسات الحديثة ترجح الأسبقية للمذهب الحنفي[2] ، إلا أن المذهب المالكي غلبه وتغلب على مختلف المذاهب .

تتفق جل المصادر التاريخية و كتب الطبقات على أن أول من أدخل المذهب المالكي إلى افريقية هو علي بن زياد[3] صاحب الرواية المشهورة للموطأ و أول مؤلف مغربي في المذهب فهو أول من أدخل موطأ مالك .

حيث يذكر القاضي : " هو أول من ادخل للمغرب جامع سفيان الثوري و موطأ مالك و فسر

---

[1]- نسبة لأبو حنيفة النعمان و اسمه الكامل أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التميمي الكوفي مولى بني تيم بن ثعلبة ويقال انه فارسي . فقيه العراق و إمام الأئمة و يؤرخ له كأول متكلم من الفقهاء وله كتاب الفقه الأكبر و كتاب الفقه الأصغر وهو أول من استخدم الفقه الأكبر في الاعتقادات ، و مصطلح الفقه الأصغر في العبادات و كان ظهوره في عصر كثرت فيه الفرق الإسلامية و يقال لأتباعه الذين ساروا على نهجه الحنفية و الأحناف أيضا ، و قد ولد أبو حنيفة بالكوفة سنة 80هـ و في رواية أخرى سنة 61هـ و توفي سنة 150هـ (انظر : خنفي عبد المنعم : مرجع سابق . ص199 ، 200 ، معشاشة سعيد أبو عبد الرحمان : مرجع سابق . ص31 ، أبو زهرة محمد : أبو حنيفة و عصره ، دار الفكر العربي ، (د م ت) ، ص14 ، 15) .

[2]- الجيدي عمر : مرجع سابق . ص15 .

[3]- هو علي بن زياد التونسي العبسي أصله من العجم ، ولد بطرابلس ثم انتقل إلى تونس و قيل انه من عبس ، فقيه ثقة ، سمع في المشرق من الإمام مالك و سفيان الثوري و الليث بن سعد ، و أبي لهيصة و غيرهم ، و في افريقية من خالد بن أبي عمران ، و سمع منه بافريقية البهلول بن راشد و سحنون بن سعيد و أسد بن الفرات ، عرض عليه قضاء افريقية فرفض . (أنظر : القاضي عياض : مصدر سابق . ج1 ، ص185 – 187) .

لهم قول مالك و لم يكونوا يعرفونه "[1] .

و قد كان بن زياد من علماء القرن 2هـ/8 م ، وفيما يخص في أي سنة أدخل موطأ الإمام مالك ، فإن المصادر و كنب الطبقات و التراجم لم تعرضنا بصفة مدققة عن تاريخ ذلك، لكننا نجد في الدراسات الحديثة تذكر أنه دخل في حدود سنة 150هـ[2] .

و إن كان لعلي بن زياد الأسبقية و الريادة في إدخال المذهب إلى افريقية فإن هذا لا يمنعنا من دور بعض معاصريه كابن فروخ[3] و ابن غانم[4] اللذان يمثلان الازدواجية بين المذهبين الحنفي و المالكي ، فقد لقيا مالكا و سمعا منه ، و البهلول بن راشد[5] المتأثر بمذهب

---

[1]– القاضي عياض : مصدر سابق . ج1 ، ص186 .

[2]– الهنتاني نجم الدين : مرجع سابق . ص38 .

[3]– هو عبد الله ابن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته ، ولد بالأندلس ثم انتقل إلى القيروان فأوطنها ، رحل إلى المشرق فلقي المحدثين كزكريا بن أبي زائدة و هشام بن حسان و عبد الملك بن جريح ، و الأعمش و الثوري و مالك و أبي حنيفة و غيرهم، مال إلى قول أهل العراق الحنفيين توفي سنة 175هـ (أنظر : ابو العرب التميمي : طبقات علماء افريقيا ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، (د ت) . ص34 .

[4]– هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان بن محمد بن شريخ بن سراحيل بن الحنف بن أيمن بن ذي النبط رعين كنيته أبو عبد الرحمان سمع من الثوري و حجاج بن منهال كان ثقة فقيها عدلا في قضائه و شاعرا ، رحل إلى الحجاز و الشام و العراق ، سمع من مالك و عليه اعتماده و من سفيان الثوري و كان من الطبقة الأولى حسب تصنيف عياض توفي في ربيع الثاني 190هـ و قيل 196هـ (انظر : أحمد الطالبي : تراجم أغلبية ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس ، 1968 . ص8 و ما بعدها .

[5]– البهلول بن راشد من أهل القيروان كان ثقة مجتهدا ورعا ، كان عنده علم كثير ، سمع من مالك و الثوري و عبد الرحمان بن زياد و الليث بن سعد و آخرون ، سمع الموطأ من علي بن زياد و ابن غانم صنفه أيضا عياض من الطبقة الأولى لسماعه من مالك مباشرة توفي سنة 183هـ بعد علي بن زياد بخمسة و ثلاثين يوما . (أنظر : نفسه . ص27) .

سفيان الثوري ، و ابن الأشرس[1] ، و بعدهم أسد بن الفرات[2] ، كل هؤلاء لهم الفضل في إدخال مذهب الإمام مالك بن انس إلى القيروان و افريقية فأخذه الكثير من الناس حتى توسع أوساطهم وبقي ينتشر إلى أن جاء سحنون بن سعيد التنوخي[3] فغلب في أيامه[4] .

و يظهر ترجيح الدراسات الحديثة لعلي بن زياد بإدخاله مذهب مالك انه قد سمع قبل العلام الذين سبق ذكرهم من خالد بن عمران[5] الذي في افريقية في عصره مثله[6] ، و زياد حسب تصنيف عياض في الطبقة الأولى لفقهاء المالكية الذين سمعوا من مالك مباشرة .

إلا أن بعض المؤرخين ينسبون دخول المذهب إلى أسد بن الفرات في حين تؤكد المصادر

---

[1]– هو عبد الرحيم بن أشرس ، أبو مسعود الأنصاري من العرب من أهل تونس و يقال مولى الأنصار ثقة فاضل سمع من مالك و ابن القاسم . (الطالبي محمد : مرجع سابق . ص27) .

[2]– هو أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم بن قيس بن أبو عبد الله أصله من خرسان لزم علي بن زياد و تعلم منه و تفقه بفقهه ثم ذهب إلى العراق ، و أخذ موطأ مالك من عدة فقهاء و توجه نحو المدينة قاصدا مالك فسمع منه الموطأ و رحل إلى فتفقه على أيدي أصحاب حنيفة ثم توجه نحو مصر بعد وفاة مالك قاصدا أصحاب مالك ليزيدونه من فقه مالك فكتب الأسدية باجتهاده على أصول قول مالك في رحلته و رجع على القيروان و بسببه ظهر العلم بإفريقية و قيل فيه أنه كان أعلم العراقيين بالقيروان و قد استفتى الأمير الأغلبي زيادة الله بن الأغلب أسد و ولاه القضاء سنة 203هـ إلى أن رحل صقلية سنة 212هـ ، قاعدا على حملة الأغالبة لفتحها ، توفي في حصار سرقسطة سنة 213هـ و قيل 214هـ و قبره بطليطلة . (أنظر : نفسه . ص 52 – 70) .

[3]– ترجمته و تعريفه الكامل في المبحث الموالي .

[4]– القاضي عياض : مصدر سابق . ج1 ، ص185 .

[5]– هو خالد بن أبي عمران التجيبي التونسي ، فهو أول من ركز العلم بمدينة تونس ، فهو أول من ركز العلم بمدينة تونس ، تلقى العلم من التابعين ، فسمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، و سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، الذي كان أبوه عبد الله بن عمر من المكثرين لرواية الحديث ، و قد كان خالد يأتي بمسائل من المغرب إلى شيوخه بالمشرق للإجابة عنها ، توفي سنة 125هـ . (أنظر: موطا مالك برواية علي بن زياد . ص17 و مابعدها) .

[6]– لوزيري سعيدة : المذهب المالكي في المغرب الأوسط – دخوله و انتشاره – (ق 3 – 5هـ) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف : بشاري لطيفة بن عميرة ، جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2009 – 2010 . ص47 .

على أن أسد أخذ العلم من علي بن زياد بتونس قبل توجهه إلى المشرق للسماع من مالك وهذا ما تأكده كتب طبقات المالكية[1] .

ولم يكن سحنون يقدم أحدا على زياد فيقارنه ببهلول بن راشد و يقول : " مابلغ البهلول بن راشد شسع نعل علي بن زياد " ، و يضيف : " كان بهلول يأتي إلى علي بن زياد و يسمع منه ... و يستفتيه في أمور الديانة "[2] .

و من خلال هذه الشهادات يظهر لنا أن علي بن زياد التونسي هو من أدخل فقه مالك إلى القيروان عمن عاصره من العلماء الذين اخذوا الفقه عن مالك مباشرة امثال بهلول و أسد و ابن غانم وغيرهم ، حيث نجد أن هؤلاء اخذوا عن زياد قبل أن ينتقلوا إلى الحجاز للأخذ عن مالك.

و يظهر بالإضافة إلى إيصال بن زياد لموطأ مالك دوره في تفقيه أهل القيروان من خلال ما روى عنه سحنون بقوله : " كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ليعلمهم الصواب " ، و قال : " كان على خير أهل افريقية في الضبط للعلم "[3]. فعن طريق هذا العلم البارز الذي مثل المذهب المـالكي في شكله البدائي[4] وبعض معاصريه

---

[1]– الطالبي محمد : مرجع سابق . ص52 .

[2]– القاضي عياض : مصدر سابق . ج1 ، ص 186 .

[3]– نفسه .

[4]– الهنتاني نجم الدين : مرجع سابق . ص39

من أهل القيروان وافريقية ، بدأ المذهب المالكي تدريجيا في هذه المنطقة من العالم الإسلامي ، و ذلك بالتدريس و الفتيا و القضاء و الشورى و غيرها من وظائف الدولة ، فالتزموا مذهب مالك و لم يتنقل غلى جوار ربه حتى كانت المدرسة المالكية في القيروان من أقوى المدارس في المملكة الإسلامية[1] .

و ما زاد من ازدهار الفقه و انتشار العلم على مذهب مالك بروز شخصية سحنون بن سعيد الذي تغلب فيه المذهب المالكي على المذاهب الأخرى و ترسخه في القيروان فالفضل يعود لهذا العلم ، فلما تولى هذا الفقيه القضاء في افريقية سنة 234هـ[2] ، فض خلق المخالفين في المسجد الجامع الذي فيه حلقات االفرق الأخرى ، ففرق أهل البدع الذين كانوا يتناظرون و يظهرون زيغهم و عزلهم من أن يكونوا أئمة للناس أدب الجماعة[3]، فشاع المذهب المالكي و استقر في افريقية ، فقضاء سحنون من أسباب انتشار المذهب المالكي و ذيوعه[4]، فقد أرساه و رسخه في إفريقية في عهد دولة بني الأغلب فغلب المذهب المالكي في مدينة القيروان[5] .

و لم يتوقف انتشار المذهب المالكي بانتهاء عصر سحنون بل توسع باتساع القاعدة الإجتماعية و الجغرافية لدى هذا المذهب و الرقابة التي تمكن علماء المالكية من فرضها على

---

[1]- الجيدي عمر : مرجع سابق . ص 16 .

[2]- الطالبي محمد : مرجع سابق . ص 98 .

[3]- نفسه . ص 104 .

[4]- لوزيري سعيدة : مرجع سابق . ص 48 .

[5]- نفسه . ص 70

الحياة الفكرية ، و تفاعل هؤلاء العلماء مع الحكام الأغالبة[1] .

المبحث الثالث : أهم الأعلام المالكيين بالقيروان

لقد اعتبرت القيروان دار العلماء و الفقهاء الذين نشروا فقه مالك عبر كامل ربوع افريقية والبلدان القريبة منها ، وسعوا جاهدين إلى إبراز ضرورة التفقه في الدين ، ولا يسع المجال لذكر كل أعلام المذهب المالكي في القيروان لذالك سنركز على عالمين كان لهما الفضل في تثبيته:

أولا : الإمام سحنون :

أ. التعريف به :

هو أبو سعيد سحنون[2] بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي[3]،وإسمه عبد السلام وغلب عليه إسم سحنون[4] وأصله من حمص[5] قدم والده سعيد مهاجرا من المشرق[6].

---

[1]– الهنتاني نجم الدين : مرجع سابق . ص 139 .

[2]– سمي بسحنون نسبة لطائر حديد النظر و هذا لما اتصف به من حدة في المسائل . (ر انظر : القاضي عياض : مصدر سابق . ج1 ، ص339 .

[3]– نسبة على تنوخ و هي منطقة تجاور حمص . (أنظر : الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق اللآفاق ، الكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، 2002 . م2 ، ص363 .

[4]– المالكي (أبي عبد الله بن محمد المالكي) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية ، تحقيق : بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 . ط2 ، ج1 ، ص345) .

[5]– هي مدينة بأرض الشام هي مدينة حسنة في أرض مستوية يقصدها المسافرون بالأمتعة و البضائع للتسوق فيها ، فهي أرض عامرة بالناس . (أنظر : الإدريسي : نفسه . ص374) .

[6]– ابن فرحون : مصدر سابق . ج1 ، ص363 .

وكان مولده في 01 رمضان 160هـ[1] ، وكان سحنون ذا علم و فقه و ورع و صدق و صارم في الحق و زاهد في الدنيا لا يخاف في الحق لومة لائم حتى و لو كان سلطانا[2] .

ب . نشأته في طلب العلم :

لقد توجه سحنون لطلب العلم و هو صغير السن ، فبدأ يرتع في مجالس العلم بين أعظم علماء القيروان[3] و جالس مشايخها يأخذ العلم منهم فقد سمع من بهلول بن راشد و علي بن زياد و ابن غانم و ابن الأشرس و غيرهم .

خرج أول مرة من بلاده لطلب العلم سنة 188هـ متجها إلى مصر فسمع بها من ابن القاسم[4] وهو ممن لازموا مالك و غيره من علماء مصر ، و بعد موت مالك اتجه إلى الحجاز و أخذ العلم من شيوخها و تفقه عنهم ، و لأنه لم يدرك مالك و جد المدينة مكانا ليأخذ من علمه[5].

---

[1]– أبو حبيب سعدي : سحنون مشكاة نور و علم و حق ، دار الفكر ، دمشق ، 1981 . ص11 .

[2]– المالكي : مصدر سابق . ج1 ، ص346 .

[3]– أبو حبيب سعدي : مرجع سابق . ص 25 .

[4]– هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم ولد سنة 133هـ أو 128هـ ، كان شيخا صالحا فقيها في مذهب مالك وأعلم الناس بأقواله ، صحب مالك 20 سنة و تفقه منه ، و اخذ عنه جماعة منهم بن عبد الحكم صاحب الفتوح ، أسد بن الفرات وسحنون مات بمصر سنة 191هـ . أنظر : ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف ت 1360هـ) : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تحقيق : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 . ج1 ، ص88) .

[5]– القاضي عياض : مصدر سابق .ج1 ، ص340 .

و في سنة 191هـ رجع إلى القيروان و كان عمره ثلاثون سنة و هو ذو علم و فقه فسمع منه أهل أجدابية[1] ، فكان يمشي في النهار يلقي المسائل فإذا كان الليل قام للصلاة[2] .

و جلس في جامع القيروان يفتي و يفقه الناس على مذهب مالك ، فكان إمام عصره ذو شأن و دين و مركز اجتماعي جعله يتقرب من أمراء الدولة[3] .

فكان العلم في صدره كسورة من القرآن و اجتمعت فيه فضائل الدين و الصدق و الأمانة و أثنى عليه كبار مشايخه لأنه لا يترك مسألة إلا و ذهب إلى ما يقول فيها مالك ، فهذا ما جعله من أكابر الفقه المالكي بالقيروان[4] .

ج . مؤلفاته و أعماله :

. مؤلفاته :

بالرغم أن الإمام سحنون عاش حياة طويلة ، إلا أنه لم يكن منشغلا بالتأليف ، واكتفى بما قدمه في المدونة الكبرى ، و التي اعتبرت من المراجع الأساسية في فقه مالك بن أنس ، حيث

---

[1]– مدينة في ارض ليبيا يصفها بن حوقل على أن بناؤها بالطين و الآجر بالحجارة و لها جامع نظيف و ليس ماء وبها نخيل. (أنظر : ابن حوقل : صورة الارض ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1956 . ص68) .

[2]– الطالبي محمد : مرجع سابق . ص88 ، 89 .

[3]– عزب محمد زينهم محمد : الإمام سحنون ، تقديم : حسن مؤنس ، دار الفرجاني ، القاهرة ، 1992 . ص12 .

[4]– ابن قنفد القسنطيني (أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن خطيب) : الوفيات ، تحقيق: عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د ت) . ص181 .

تعتبر المدونة بمثابة استدراك للأسدية[1] و التي طلبها سحنون من أسد بن الفرات ، إلا انه حصل عليها و استنسخها و ذهب بها غلى شيخه بن القاسم و قرأها عليه فصحح فيها مسائل و طلب و طلب من أسد مراجعة كتابه من كتاب سحنون لأنه أضاف عليها بعض المسائل و لكن أسد غضب من ذلك [2] و قال : " أعرض كتبي على كتبه و أنا ربيته " و لما سمع ابن القاسم بالأمر قال عن الأسدية : " اللهم لا تبارك في الأسدية فهي مرفوضة إلي "[3] ، و صارت مدونة سحنون التي قضى أربع سنوات في تدوينها هي المتبعة من طرف سكان القيروان و اعرضوا عن الأسدية[4] .

و لاختلاط مسائل المدونة في كل أبوابها سميت المدونة بالمختلطة[5] ، و سحنون من خلال مدونته كان يسعى دائما لتثبيت أراء مالك و ذلك في كل أجزاء المدونة ، فأعطى دليل واضح على السيطرة لمذهب مالك في القيروان خلال عصره[6].

. أعماله :

لقد عاش الإمام سحنون و هو طالب للعلم ثم أقام بمسجد القيروان و أصبح يقوم بمجلسه

---

[1]- نسبة إلى صاحبها أسد بن الفرات و هي تحتوي على ستين كتابا ينطوي على ستة و ثلاثين ألف مسألة فقهية رجع بها أسد إلى المغرب و هي تحوي فقه مالك و سميت مجموعها بالأسدية . (أبو حبيب سعيد : مرجع سابق . ص 32) .

[2]- بن مخلوف : مصدر سابق . ج1 ، ص104 .

[3]- عزب محمد زينهم محمد : مرجع سابق . ص184 .

[4]- الطويلي أحمد : مرجع سابق . ص51 .

[5]- نفسه . ص 52 .

[6]- الهنتاني نجم الدين : مرجع سابق . ص28 .

العلمي حيث كثر طلابه و انتشرت إمامته في المغرب و المشرق ، وكان يحضر مجلسه العباد أكثر من طلبة العلم حيث أنهم كانوا يأتونه من مختلف أقطار العالم الإسلامي يعلمهم و يجيب عن مسائلهم ، بالإضافة إلى الإمامة تولى سحنون قضاء افريقية سنة 234هـ حيث كان عمره 74 سنة[1] ، وذلك بطلب من الأمير أحمد بن الأغلب[2] الذي سعى وراءه لعام كامل لكنه أبى ذلك، و بعدما عزم عليه اشترط سحنون على ابن الأغلب فقبلها ، شغل سخنون منصب القضاء لمدة ستة أعوام دون أن يأخذ أجره ، وقام سحنون بتعيين إمام بالجامع يصلي بالناس[3] ، وكان يضرب الخصوم إذا أذوا بعضهم بالكلام ، ولطالما أدب الناس على الإيمان و بقي قاضيا حتى وفاته[4].

د- وفاته : لقد توفي الإمام سحنون رحمه الله في رجب سنة 240هـ ، عن عمر يناهز ثمانين سنة ، دفن في يومـــه و صلى عليه عامة أهل السنة والجماعة[5] ، بالقيروان ودفن بها و قبره معروف[6] وحزن الناس لموته و بكت عليه كل القيروان ، و بكى عليه مشايخ الأندلس

1- القاضي عياض : مصدر سابق . ج1 ، ص345 .

2- هو أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب ، تولى إمارة الأغالبة سنة 226هـ ، كتن شجاعا في الحروب و صابرا في مقاومة الخارجين ، حتى استطاع بجيوشه أن يصل إلى قلاع صقلية و كان يقول الشعر توفي عام 246هـ .
(انظر : زيتون محمد محمد : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، 1988 . ص301 ، 302) .

3- الدباغ : مصدر سابق . ج1 ، ص84 – 88 .

4- ابن فرحون : مصدر سابق . ج1 ، ص 265 ، 266 .

5- الطالبي محمد : مرجع سابق . ص 133 ، 134 .

6- بن مخلوف : مصدر سابق . ج1 ، ص 105 .

مثل بكاء النساء يقولون : " يا أبا سعيد ليتنا تزودنا منك قطرة حتى نرجع بها إلى بلدنا "[1].

ثانيا: بن أبي زيد القيرواني :

أ. التعريف به :

هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان النفزي[2] القيرواني[3] ، ولد سنة 310هـ[4] بالقيروان و فيها عاش و حفظ القرآن الكريم و تلقى علوم اللغة و آدابها و أظهر ميلا للدراسات الفقهية[5] ، فدرس كتب الفقه المالكي كالموطأ و الأسدية و المدونة ، فكان أوحد علماء عصره وأعلمهم بمذهب مالك[6] ، فيجمع المؤرخون و الفقهاء على أن بن أبي زيد إمام و عالم مجدد للدين و أحق من يصدق عليه الرسول صلى الله عليه و سلم : " يبعث الله على كل رأس مائة سنة من يجدد لها أمر دينها "[7] .

لقد نشأ بن أبي زيد في محيط اجتماعي عمت فيه موجة كبيرة من الدراسات العلمية

---

[1]- الدباغ : مصدر سابق . ج1 ، ص102 ، 103 .

[2]- نسبة إلى قبيلة نفزاوة البربرية و قيل نسبة إلى نفزة الواقعة جنوب افريقية ، أي معنى نفزاوة إسم نقل إلى الموضع من إسم القبيلة التي سكنت به أول الدهر . (أنظر : اليتجاني أبو محمد عبد الله : رحلة التيجاني ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981 . ص143 ، سلمان نصر : من أعلام المذهب المالكي ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2011 . ص9) .

[3]- بن مخلوف : مصدر سابق . ج1 ، ص143 .

[4]- سلمان نصر : نفسه . ص9 .

[5]- وشن مزيان : مدرسة عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكية و أثرها العلمي في المغرب الإسلامي ، رسالة ماجيستر في التاريخ الوسيط ، إشراف : سامعي إسماعيل جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2006 – 2007 . ص31 .

[6]- بن مخلوف : نفسه .

[7]- بن محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسيين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982 . ج2 ، ص444 .

والمذهبية حيث تميز عصره بالصراع الفكري و الجدلي[1] ، كما تربى في بيت ميسور الحال مشهور بالعلم و التدين ، حيث كان لأفراد أسرته منذ القديم دور في نشر المذهب المالكي بافريقية و العراق و ذاع صيتهم في بلاد المغرب و المشرق و الأندلس[2] .

وكان أبي زيد ايضا أديبا يقول الشعر و يجيده ، و إمام المالكية في وقته ، و قدوتهم و شارح أقوال مالك ، واسع العلم كثير الرواية ، بصيرا بالرد على أهل الأهواء متميزا بالورع و الورع و العفة ، متريسا للدين و الدنيا إليه شدت الرحال من مختلف الأقطار[3] .

ب . شيوخه و ثناء العلماء عليه :

أخذ بن أبي زيد القيرواني الفقه و مختلف العلوم على يحصى من العلماء و شيوخ بلده منهم أبو بكر بن اللباد[4] و أبو الفضل المميسي[5] ، و أبو الحسن الخولاني[6] و غيرهم[7] .

---

[1]– وشن مزيان : مرجع سابق . ص32 .

[2]– نفسه .

[3]– بن محفوظ محمد : مرجع سابق . ص443 .

[4]– هو أبو بكر محمد بن اللباد الفقيه الفاضل جليل القدر العالم في مذهب مالك بن انس ، لديه عدة مؤلفات منها : كتاب الطهارة ، كتاب إثبات الحجة ، و كتاب فضائل مالك بن أنس و غيرها ، توفي 14 صفر 333هـ . (انظر : الدباغ : مصدر سابق ، ج1 ص21 – 23) .

[5]– هو أبو الفضل عباس بن عيسى المميسي نسبة لقرية مميس بافريقية ، كان فقيها عالما زاهدا ، حفظ القرآن في سن الثامنة و كتاب الموطأ في سن الخمسة عشر ، له تآليف منها : كتاب في تحريم الخمر و كتاب أصول الأعمال و غيرها توفي سنة 333هـ . (أنظر : بن مخلوف : مصدر سابق ، ج1 ، ص124 ، 125) .

[6]– هو حسن بن محمد بن حسن الخولاني أبو الحسن الكانشي عالم فقيه ، يحسن العربية و النحو و الشعر ، توفي سنة 347هـ عن عمر يناهز 108 سنين . (أنظر : ابن فرحون : مصدر سابق . ج1 ، ص328 .) .

[7]– سلمان نصر : مرجع سابق . ص10 .

و في أثناء زيارته للبقاع المقدسة عرج على بلدان المشرق العربي و احتك بشيوخها اخذ عنهم[1] ، و تحصل منهم على إجازات[2] .

و لقد أطنب العلماء في الثناء على الإمام بن أبي زيد القيرواني مشيرين إلى كثرة علمه علمه الكثير و أخلاقه الحميدة التي اتصف بها و مقامه الرفيع حيث اعتبروه إمام عصره ، حيث قال فيه القاضي عياض[3] : " و كان أبو محمد رحمه الله غمام المالكية في وقته و قدوتهم و جامع مذهب مالك و شارح أقواله ، و كان واسع العلم كثير الحفظ و الرواية و كتبه تشهد له بذلك "[4] .

و قال فيه الفقيه المربي أبو الحسن القابسي[5] : " إمام موثوق في ديانته و روايته"[6] ، و قال فيه أبو الحسن القطان : " ما قلدت أبو محمد بن أبي زيد حتى رأيت السائحي يقلده "[7] .

---

[1]- سلمان نصر : مرجع سابق . ص10 .

[2]- بن مخلوف : مصدر سابق . ج1 ، ص144 .

[3]- هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي، ولد بسبتة في رمضان 496هـ ، إمام علامة يكنى أبا الفضل الدار و الميلاد الأندلسي الأصل كان كان عالما في التفسير و فقيه أصولي عالم بالنحو و اللغة توفي في جمادى الأول 544هـ . (أنظر : ابن فرحون : مصدر سابق . ج2 ، ص46 ، 51) .

[4]- القاضي عياض : مصدر سابق . ج2 ، ص492 .

[5]- هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي الفقيه القيرواني ولد سنة 324هـ و توفي سنة 403 له عدة تآليف في تربية و تعليم الصبيان و المتعلمين . (انظر : أبو الحسن القابسي (ت403هـ) : الرساالة المفضلة لإخوان المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين ، تحقيق : أحمد خالد ، الشركة التونسية للنشر و التوزيع قرطاج ، تونس ، 1986 . 1986 . ص7) .

[6]- ابن فرحون : نفسه . ج1 ، ص427 .

[7]- نفسه .

ج . مؤلفاته و أثاره العلمية :

لقد ترك بن أبي زيد القيرواني العديد من المؤلفات و المصنفات التي عول عليها في المذهب المالكي منها : النوادر و الزيادات على المدونة و هو كتاب مشهور يحتوي على أزيد من مائة جزء ، و كتاب مختصر المدونة ، و هذين الكتابين اعتمد عليهما في مذهب مالك[1] ، فكتاب و الزيادات فقد استوعب فيه فروع المالكية[2] .

أما أشهر كتبه التي ألفها كتاب الرسالة الذي اعتمد عليه الكثير من العلماء في كل أنحاء العالم الإسلامي و شرحها الكثير ، و قد طلب منه الشيخ محرز بن خلف بتأليفها و ألفها وسنه سبعة عشرة عاما و هي أول تآليفه و وقع التنافس في اقتناءها حتى كتبت بالذهب[3] .

و العديد من المؤلفات الأخرى منها : تهذيب العتيبية ، الإقتداء بأهل المدينة ، الذب على مذهب مالك ، تفسير أقوال الصلوات ، الثقة بالله و التوكل عليه ، المعرف و اليقين[4] .

د. وفاته :

بعد هذا العطاء العلمي المتميز في مجال التعليم و التعلم و التأليف ، انتقلت روحه إلى

---

[1]– بن مخلوف : مصدر سابق . ص96 .

[2]– الجيدي عمر : مرجع سابق . ص78

[3]– بن مخلوف : نفسه .

[4]– نفسه .

بارئها يوم الاثنين 30 شعبان 386هـ بالقيروان و دفن بداره[1] .

و بهذا نقول إن المذهب المالكي قد لقي في مدينة القيروان مكانته و مستقره وانتشر كما انتشر في كافة أنحاء افريقية بفضل هذه المدينة و أعلامها الذين أنجبتهم و أصبحوا أكبر مراجع المذهب المالكي في العالم الإسلامي .

[1]- نصر سلمان : مرجع سابق . ص9 .

- **<u>الفصل الثاني :</u> دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط**

-المبحث الأول : تحديد الإطار الجغرافي و السياسي لبلاد المغرب الأوسط

-المبحث الثاني : دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط

-المبحث الثالث : أهم أعلام المالكية بالمغرب الأوسط

من القيروان أخذ الفقه المالكي ينتشر في الأقاليم المجاورة لإفريقية ، ومنها بلاد المغرب الأوسط التي عملت أيضا على تبني المذهب المالكي وجعله كمذهب رسمي رغم تواجد مذاهب فقهية أخرى وقدمها با لمنطقة ، ولذلك أن فقهاء المغرب الإسلامي عملوا على نشر هذا المذهب ، وخاصة بعد الحضور المبكر للفقه المالكي بالقيروان وعمل العلماء والفقهاء القيروانيين على ترسيخه وإعطائه عناية كبيرة جعلت يحتل مرتبة كبيرة في نفوس المسلمين، وكانت القيروان مركز للفقه المالكي في الغرب الإسلامي ، حيث إحتوت على نخبة من الفقهاء عملوا على نشر هذا المذهب عبر الاقاليم المجاور كبلاد المغرب الأوسط.

المبحث الاول : تحديد الإطار الجغرافي والسياسي

قبل الحديث عن دخول المذهب المالكي بالمغرب الأوسط توجب علينا إعطاء دراسة جغرافية وسياسية للمنطقة ، وهذا قصد التعرف أكثر على هذه الرقعة الجغرافية واهم الكيانات السياسية التي كانت قائمة بها خلال انتشار الفقه المالكي .

أولا : الإطار الجغرافي

كتب الجغرافيون والرحالة المسلمون مؤلفات ومصنفات وصفوا فيها البلاد الإسلامية والعالم حيث قسموها إلى عدة أقاليم[1] ، كالمقديسي في كتابه أحسن التقاليم في معرفة الأقاليم

[1]- لوزيري سعيدة ، مرجع سابق : ص17.

وتحدثوا عن مسالك البلدان وحددوا مواقعها وامتدادها من ضمنها إقليم المغرب[1]، إلا أنهم لم يتطرقوا بالتحديد إلا ذكر مصطلح المغرب الأوسط كوحدة جغرافية .

ولقد ظهر مصطلح المغرب الأوسط لأول مرة في القرن الخامس هجري عند البكري عندما تحدث عن مدينة تلمسان[2] التي اعتبرها قاعدة المغرب الأوسط[3].

ويشمل المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون في ضبط حدودها خاصة الشرقية منها[4] ، وعلى العموم فهو يقع في الجهة الغربية من افريقية[5] ، ويظهر الإختلاف في ضبط الحدود التي يشملها المغرب الأوسط عند الجغرافيين والمؤرخين فنجد أن

---

[1] المغرب لغويا هو كل ما خلاف المشرق ، والمغرب عند كثير من علماء اللغة سواء أي بمعنى واحد ، ولقد جاء في القران الكريم ما يدل على هذا المعنى اللغوي للفظي المشرق والمغرب ، قال تعالى : "رب المشرقين ورب المغربين " سورة الرحمن ، الأية 17 ، أما من حيث معناه الجغرافي جاء في نظر بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل من أهل مصر إذا استقبلوا الجنوب يمينهم مغرب ويسارهم المشرق ويرى آخرون أن بلاد المغرب هي كال مايلي غرب نهر النيل حتى المحيط الأطلسي . (انظر : د. بن أحمد حوالة يوسف ، الحياة العلمية في إفريقية : جامعة أم القرى ، 2000. ج1، ص40،39)

[2] هي مدينة أزلية لها جدار حصين يفصل بين مدينتيها ، وهي عظيمة قديمة كانت دار مملكة الأمم السابقة تقع في سفح جبل أكثر شجره الجوز، ولها نهر كبير يسمى سطفسيف .(انظر : اليعقوبي : مصدر نفسه . ص235 ، مجهول (كاتب مراكشي): الاستبصار في عجائب الأمصار . ص176).

[3] البكري (أبو عبيد الله ت 487هـ) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثني ، بغداد . ص76.

[4] جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الأوسط خلال (ق3 و4 هـ) ،المطبوعات الجامعية. ص5.

[5] افريقية تمتد من طرابلس شرقا حتى مدينة بجاية أو تاهرت غربا وعاصمتها القيروان ، وهي مدينة كثيرة الخيرات وطيبة التربة وافرة المزارع والأشجار والنخل والزيتون وبها معادن الفضة والنحاس . (انظر: بن أحمد حوالة يوسف : مرجع سابق . ص46، القزويني (زكريا بن محمد ت) : أثار البلاد وأخبار العباد . ص115).

الإدريسي يذكر أن بلاد المغرب الأوسط تشمل : تنس[1] ، مسيلة[2] ، مليانة[3] ، قسنطينة[4] ، بجاية [5] ، جيجل[6]، وغيرها من المدن التي ذكرها[7]، ومستثنيا مدينة تلمسان التي يقول عنها البكري أنها قاعدة المغرب الأوسط ،

ويتفق الإدريسي مع صاحب الاستبصار على أن للمغرب الأوسط مدن كثيرة إلاّ أنهما يختلفان في تحديد قاعدته[8]، فالأول يرى أن بجاية هي مدينة المغرب الأوسط وقاعدته في عصره (ق6هـ) حسب مايذكره[9] ، أمّا الثاني في ذكره للمغرب الأوسط أن قاعدته هي مدينة

---

[1]- مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر على مقربة من البحر المتوسط ، يحيط بها سور على بعد 2ميل من البحر ولها في جهة الشرق واد كثير الماء . (انظر : الوزان حسن : مصدر سابق .ج2 ، ص 35 ، الإدريسي ، مصدر سابق ، ص257).

[2]- مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا ، على بعد نحو 40ميل من بجاية تحيط بها أسوار جميلة . (انظر : الوزان حسن ، نفسه : ص52) .

[3]- مدينة كبيرة قديمة بناها الرومان ، وأطلقوا عليها اسم مكنانة ولكن العرب حرفو هذا الاسم حتى أصبح مليانة وهي تقع في قمة جبل على بعد نحو 40ميل من البحر أي شرشال . (انظر : الوزان حسن ، نفسه : ص 34،35)

[4]- هي قسنطينة أو قسنطينية كما يذكرها ياقوت الحموي ويقول عنها إنها مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء ، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد وهي على حدود افريقية . (انظر : ياقوت الحموي ، مصدر سابق : م4 . ص349).

[5]- مدينة أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة ، وهي تقع على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو . (انظر : البكري ، مصدر سابق : ص82 ، الإدريسي ، مصدر سابق : ص259).

[6]- هي مدينة على ضفة البحر والبحر يحيط بها وقد بنوا أهلها مدينة حصينة على الجبل فإذا كان زمن الشتاء سكنوا المرسى والساحل وإذا كان زمن الصيف ووقت سفر الأسطول نقلوا أمتعتهم إلى الحصن الأعلى البعيد عن البحر . (انظر : الإدريسي، نفسه : ص268).

[7]- الإدريسي : نفسه . ص222.

[8]- لوزيري سعيدة : المرجع السابق . ص22.

[9]- الإدريسي ، نفسه : ص260.

تلمسان[1] ، ويتفق أيضا معه ابن خلدون على هذا[2] .

ويحدده صاحب الاستبصار بأنه يمتـد من واد مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان شرقا إلى بلاد تازا[3] غربا ومن البحر الذي على ساحل البلاد مثل مدينة وهران[4] وغيرها من المدن الساحلية إلى مدينة تنزل[5]، وهي مدينة في أول الصحراء على الطريق إلى سجلماسة جنوبا[6].

وعلى العموم فإن المغرب الأوسط يتوسط المغربين الأقصى والأدنى[7].

---

[1] مجهول ، المصدر السابق : ص176.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: تحقيق :شحادة خليل ، مراجعة : زكار سهيل ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 2000م. ج6، ص134.

[3] مدينة كبيرة أسسها الأفارقة القدماء على بعد نحو خمسة أميال من الأطلس ، وتبعد تقريبا عن فاس نحو 50 ميلا وعن البحر المحيط بـ 130ميلا ، وعن البحر المتوسط بـ7اميال (حسب الزان والصحيح 75ميلا) بها قصور ومدارس ومساجد مبنية الجدران بعناية وإتقان وينحر من الأطلس نهر صغير يمر بها . (انظر : الوزان حسن ، مصدر سابق . ج1، ص354)

[4] هي مدينة حصينة ذات مياه سائحة ...وبساتين ولها مسجد الجامع وبنى مدينة وهران محمد ابن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران
(انظر: البكري : مصدر سابق : ص72).

[5] تنزل أو تنزيل عند البكري وهي مدينة أول الصحراء ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة وإلى وارجلين (ورقلة). (انظر : البكري : نفسه : ص77.

[6] مجهول ، مصدر سابق : ص176.

[7] الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام . دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1965. ط2 ، ص32.

ثانيا : الإطار السياسي

إن بلاد المغرب الأوسط شهدت قيام عدة دول بها بداية من القرن الثاني الهجري ، وفي هذا الشطر سوف نتطرق إلى أهم هذه الدول وبالتحديد خلال فترة إنتشار المذهب المالكي :

أ. الدولة الرستمية :

هي أول دولة مستقلة محليــة تظهر في بلاد المغرب الأوســط على يـدالإمام عبد الرحمن ابن رستم[1] في تاهرت[2] سنة 160هـ[3]، وهذا بعدما أنهزم أبو الخطاب[4] أمام والي العباسيين محمد ابن الأشعث[5] بالقرب من طرابلس ففر خليفته عبد الرحمن ابن رستم الذي كان قد ولا من قبل على القيروان متجها نحو المغرب الأوسط[6].

---

[1]- هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام وبهرام هذا مولى أمير المؤمنين عثمان وهو بهرام بن ذو شرار بن صابور بن بابكان بن صابور ذي الأكتاب الملك الفارسي . (انظر : البكري : مصدر سابق . ص67).

[2]- أسست تاهرت سنة 144هـ من طرف عبد الرحمن بن رستم وسرعان ما ازدهرت وكثر سكانها المتكونون أساسا من جماعة قادمة من نفوسة وبعض المهاجرين من إفريقيا ، وبين مدينة تاهرت والبحر أربعة مراحل وكانت في سلف من الزمان مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور على قمة جبل.
(انظر : ابن الصغير (ق3هـ): أخبارالأئمة الرستميين ، تحقيق : محمد ناصر ، إبراهيم بحاز ، (د م ت ن) . ص255).

[3]- الحريري محمد عيسى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، دار القلم ، 1987.ط3، ص71.

[4]- هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني ، أحد حملة العلم من الإباضية إلى المغرب ، أخذ العلم أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة إمام الكتمان في البصرة بعد جابر بن الزيد الأسدي ، انتقل إلى المغرب فبويع بالإمامة سنة 140هـ .
(انظر : ابن الصغير : نفسه . ص26) .

[5]- هو محمد ابن الأشعث ابن عقبة بن أهبان الخزاعي والي مصري في عهد المنصور ، ولاه المنصور على الخراج والصلاة (انظر : بن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992. ص438).

[6]- الحريري محمد عيسى ، مرجع نفسه : ص71.

إجتمعت عليه الإباضية[1] واتفقوا على أن يكون عبد الرحمن إمامهم[2]، فوجد عبدالرحمن بن رستم من تاهرت المكان الطبيعي الذي يضمن ظروفه الطبيعية والسياسية لإقامة دولته ببلاد المغرب الأوسط[3] ، وقام بتأسيس الدولة الرستمية في 160هـ/777م ونجح من خلالها بضم إباضية المغرب جميعا بعد أن دانوا بالولاء والشعبية لأئمتها[4].

بحيث امتدت هذه الدولة من البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا ومن جبل نفوسة[5] شرقا إلى إلى تاهرت غربا وشملت كل بلاد الزاب[6] جنوبا ، ذالك هو أقصى اتساع وصلت إليه حسب الظروف الطبيعية والسياسية التي خضعت لها[7].

أما فيما يخص علاقتها بالدول المجاورة فقد كانت روح المودة والمسالمة وحسن الجوار

---

[1] هم أصحاب عبد الله ابن إباض وهم فرقة كبيرة من الخوارج وهم يرون أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ويجوز التعامل معهم ، وظهرت هذه الفرقة النصف الثاني من القرن الأول هجري في البصرة . (انظر :الشهرستاني(محمد بن عبد الكريم) : الملل والنحل ، صححه وعلق عليه : أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1992. ط2، ص131، موسى لقبال : المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1981. ط2، ص166).

[2] لوزيري سعيدة ، مرجع سابق : ص68.

[3] الحريري محمد عيسى ، مرجع سابق : ص71.

[4] د. إسماعيل محمود عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب ، حتى منتصف القرن الرابع هجري : دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1985. ص95.

[5] هو جبل يعزل الصحراء يقع على بعد نحو 30ميل من جربة وسفاقس وهو عالي وبارد لاينبت فيه القمح إلا نادرا مع قليل من الشعير . (انظر : الوزان حسن : مصدر سابق . ص105).

[6] تبدأ بلاد الزاب من تخوم المسيلة غربا ويحدها شمالا جبال مملكة بجاية وتمتد شرقا إلى بلاد الجريد وجنوبا إلى القفاز التي تقطعها الطريق المؤدية من توقرت إلى ورقلة وهي شديدة الحرارة ورملية . (انظر : الوزان حسن : نفسه . ج2، ص138)

[7] محمد جمال الدين عبد الله : الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر. دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1991م . ص32.

رغم إختلاف مذاهبها السياسية والدينية[1]. ولكن مع مرور الوقت ظهرت خلافات بين الحكومة والشعب أدت إلى نشوب فتن واضطرابات داخلية ساعدت الفاطمين في القضاء على هذه الدولة بدون قتال سنة 296هـ/909م[2]، ويدخل المغرب الأوسط تحت الحكم الفاطمي .

ب . الدولة الفاطمية :

قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة بفضل الجهود التي قام بها عبد الله الشيعي[3] الذي قضى على دولة الأغالبة بإفريقية وسيطر عليها عام296هـ/909م[4] وبعدما سيطر على منطقة الزاب كلها استفحل أمره وقرب من ديار الرستميين ثم قصد تيهرت فخرج إليه أهلها ووعدوه بتسليم المدينة[5]، فاستولى عليها لأنه وجد منها أمة بلا حكومة وهذا بعد الخلافات التي كانت داخل الدولة الرستمية أعطته داعما في ضم هذه الدولة تحت نفوذه

ودخلت تيهرت تحت حكم الفاطميين سنة 296هـ فجعلوها قاعدة المغرب الأوسط وانتخبوا لها

---

[1]- محمد جمال الدين عبد الله : مرجع سابق. ص35.

[2]- الجيلالي عبد الرحمن ، مرجع سابق : ص234،233.

[3]- هو أبو عبد الله الحسين بن حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، من أهل صنعاء كان ذو علم وفهم ودهاء ومكر كان يجالس رجلان من كتامة الحرث الجيملي وموسى ابن مكاد وهما رأس الشيعة رحل معهما إلى مصر بداعي طلب العلم ، وسأل عن أحوال بلاد إفريقية وسلطانها هناك اجتمع عليه أصحاب العلم وناظروه ، استولى على القيروان ودخلها ، توفي يوم الإثنين نصف جمادى الثاني 298هـ . (انظر : المقريزي : المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1987 . ص25 – 34).

[4]- الجمل شوقي وآخرون : الموسوعة الإفريقية ، تقديم : رجب محمد عبد الحليم ، جامعة القاهرة ، 1997 . م2 ، ص140.

[5]- محمد جمال الدين عبد الله : الدولة الفطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر ، كلية دار العلوم ، جامعة الفاهرة ، 1991 . ص 31، 32.

ولاة من أوليائهم[1] ، وبقت تسيطر على بلاد المغرب حتى قضى عليها الصنهاجيين وأخرجوها من بلاد المغرب الأوسط سنة 362هـ[2] .

ج. الدولة الحمادية :

يرجع الفضل في تأسيس هذه الدولة إلى القائد حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي[3] الذي كان في بادئ الأمر ينتمي إلى دولة بني زيري و الذي انفصل عنهم بدولته و رفض التشيع و التبعية للدولة الفاطمية ، وقد ابتدأ أمره بعدما أقطعه ابن أخيه الأمير باديس بن منصور[4] صاحب الدولة الزيرية مدينة أشير و نواحيها و منحه لقب نائب الأمير ليجازيه عما قدمه من خدمات لدولة بني زيري ، فطمحت نفسه لإنشاء مملكة مستقلة مما ادخله في صراع مع باديس انتهى بموت هذا الأخير .

و قد أنشأ حماد بن بلكين قلعته الشهيرة سنة 398هـ و أتم تحصينها في عامين و التي مكث بها منازعا لباديس وبعدها نقل نقل بنو حماد عاصمته على بجاية التي أسسوها 460هـ[5].

---

[1]- الميلي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب . ج2 ، ص181.

[2]- الطويلي أحمد : مرجع السابق . ص30.

[3]- هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد كان فريد دهره وفحل قومه ملكا كبيرا شجاعا قد قرأ الفقه بالقيروان ، ونظر في كتب الجدل وهو من بنى قلعة بني حماد بالحضنة توفي في شهر رجب سنة 419هـ (ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، محمد إبراهيم الكتاني ، دار ، الدار البيضاء ، 1964. ص86).

[4]-هو باديس ابن منصور بن بلقين (بلكين) بن زيري بن مناد ويلقب بنصير الدولة ، وكان صغير السن عند وفاة أبيه وفي عهده استقل حماد بدولته ، توفي في 20 ذي الحجة سنة 406هـ . (انظر ابن الخطيب : نفسه . ص69 ، 72).

[5]- الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق ، 363،364 .

وفيما يخص حدود الدولة الحمادية فهي لم تتعدى عمالتي الجزائر و قسنطينة المعهودة اليوم تقريبا و تمتد في الجنوب على وارجلان (ورقلة)[1]، و يذكر عبد الواحد المراكشي عن ملك بني حناد بقوله : " من قسنطينة المغرب على موضع يعرف سيوسيرات بينه و بين بجاية حوالي تسعة مراحل ... و بجاية دار ملكم "[2] ، ودامت هذه الدولة إلى ما يقارب القرن والنصف قرن إلى أن سقطت في يد الموحدين سنة 547هـ [3].

المبحث الثاني : دور القيروان في النشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط :

أولا : المذاهب الفقهية قبل ظهور المذهب المالكي بالمغرب الأوسط :

قبل الحديث عن الدور الكبير الذي لعبته القيروان في نشر المذهب المالكي وترسيخه بالمغرب الأوسط فسوف نعطي صورة موجزة عن أهم المذاهب الفقهية التي سبقت المذهب المالكي في المنطقة حيث وجدت هذه المذاهب البيئة الخصبة لزرع أفكارها وسط السكان المحلين .

فقد انتشرت هذه المذاهب بصورة جلية وتنوعت في عصر الدولة الرستمية التي تميزت سياسة أئمتها بإقرار مبدأ التسامح الديني والمذهبي وذالك ماوجد في ذكر مؤرخوا الدولة

[1]- الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . 365.

[2]- عبد الواحد المراكشي : مصدر سابق . ص285.

[3]-الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ص 393.

الرستمية عن المناظرات التي كانت تقام في المساجد الإباضية دون زجر أو منع ، حيث يقول ابن الصغير: " من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربــوه وناظـروه ألف مناظرة وكذالك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله ذالك "[1] ، فتعددت إلى جانب المذهب الرسمي للدولة مذاهب أخرى خارجية كالصفرية [2] الذي كان متبعوه مستقرين في حصن تالغمت[3]، كما انتشرت الزيدية [4] بمختلف المدن وعلى وجه الخصوص مدينتي حمزة (البويرة حاليا) وتلمسان[5] ، كما سكن المغرب جماعات من الواصلية[6] مجمعهم قريب من تيهرت يسكنون بيوت الشعر ويبلغون نحو ثلاثين ألفا[7].

---

[1] ابن الصغير: مصدر سابق . ص33.

[2] هم فرقة من الخوارج من أتباع زياد ابن الأصفر وهم في أرائهم أقل تطرفا من الأزارقة وقد خالفوهم في مرتكب الكبيرة فالأزارقة يعتبرونه مشركا عكس الصفرية الذين لم يصنفوه كمشرك وكذا لم يكفروا القعود عن القتال . (انظر : الشهرستاني : مصدر سابق . ج1 . ص143، البغدادي : الفرق بين الفرق ، المطبعة العصرية ، صيدا لبنان،(د، ت) . ص90 ، أبو زهرة محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د، ت) . ص72).

[3] هو حصن يدعى اليوم بتلغمت وهو وسط بين مدينتن الأغواط وغرداية . (انظر : الميلي مبارك : مرجع نفسه . ج2، ص78)

[4] فرقة من الشيعة معظمها ثلاث فرق الحرورية ، السليمانية ، البترية تجمعهم القوة بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . (انظر : البغدادي : مصدر سابق . ص22)

[5] عمارة علاوة : مرجع سابق . ص129.

[6] هؤلاء أتباع واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة وداعيهم وتزعم هذه الفرقة أن كل مرتكب للذنب الكبير أو الصغير مشرك بالله . (انظر : البغدادي : مصدر نفسه . ص118).

[7] ابن الصغير : مصدر سابق . ص34 .

ثانيا : دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط :

لقد كان للقيروان دور كبير في نشر المذهب المالكي بالأقاليم والمناطق المجاورة لها ، وعلى وجه الخصوص المغرب الأوسط الذي هو مجال دراستنا بحكم كونها تعد وقتئذ مركز إشعاع لفقه مالك ، وذالك عن طريق فقهائها وكتبهم وكذا المدارس المنتشرة بها .

أ : دور الإمام سحنون وشيوخ عصره :

لقد انتشر المذهب المالكي تدريجيا عن طريق تدريس موطأ الإمام مالك بن أنس وأخذ بعدا أكثر أهمية زمن سحنون إبن سعيد[1] ، ويبرز دور سحنون في نشر المذهب المالك بالمغرب الأوسط أثناء توليه قضاء إفريقية 234هـ /849م فقد قام بتفريق حلقات جميع المخالفين لمذهب مالك ، والذي اقتدى به القضاء وأهل الفتوى وصار يمنع الإفتاء بغير مذهب مالك[2] ، فقد أرسل قضاة إلى أقاليم مجاورة فعين سليمان بن عمران الحنفي المذهب قاضي على باجة[3] والأربس[4] وبجاية[5] ، ولم يوليه حتى امتحنه في مذهب مالك فأظهر مذهب

---

[1]- عمارة علاوة : المرجع السابق . ص33.

[2]- أبو مصطفى كمال السيد : جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى معيار الونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996. ص94.

[3]- هي مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد نحو 25ميل من البحر المتوسط و80ميل أو أكثر من مدينة تونس . (انظر : الوزان حسن ، مصدر سابق : ج2 ، ص66).

[4]- وهو واد بضواحي تونس . (انظر : الوزان حسن ، نفسه : ج1، ص66).

[5]- القاضي عياض ، مصدر سابق : ص346، 347

المدنيين وأنه تارك لمذهب أهل العراق حتى أصبح لا يقضي قضية حتى يشاور سحنون فيها[1]، ويحي بن خلد السهمي من سنة 240هـ-244هـ كأول قاضي في منطقة الزاب[2] و أبوالإسحاق بن إبراهيم الأزدي[3] .

بالإضافة إلى كتبه نجد أن مدونة سحنون أعطت دافع أكبر لسكان المغرب الأوسط قصد العمل بمذهب مالك[4].

وتفقه على يده مجموعة من الطلبة من المغرب الأوسط بالقيروان ثم عادوا إلى بلادهم ومنهم : عبد الملك الملشوني[5] الذي ينتمي إلى مدينة بسكرة[6]، وبكر بن جماد التاهرتي[7].

---

[1]- لوزيري سعيدة ، مرجع سابق : ص71.

[2]- الهنتاني نجم الدين ، مرجع سابق : ص135 ، أبو العرب ، مصدر سابق : ص120.

[3]- هو أبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي يعرف بابن بطريقة الصايغ كان من أصحاب محمد ابن سحنون، فقيها وثبتا وثقة وحافظا للقران ، حبس عن قضاء طرابلس ثم بعدها تولى القضاء نواحي الزاب توفي سنة 303هـ . (انظر : الطالبي محمد ، مرجع سابق : ص374، 376).

[4]- عمارة علاوة : مرجع سابق . ص133.

[5]- هو إسحاق ابن أبي عبد الله عبد الملك الملشوني ، من فقهاء المالكية من أهل القرية ملشون إحدى قرى بسكرة تعلم بها وبالقيروان وجالس سحنون وأخذ كل منهما عن صاحبه وكان نديما لمحمد ابن الأغلب (242.206هـ) لم نعثر على تاريخ وفاته . (انظر : نويهض عادل : المرجع سابق . ص 314).

[6]- مدينة عريقة في القدم ، أسسها الرومان وخربت بعد ذالك ثم أعيد بنائها مع الفتح الإسلامي ، محاطة بسور من الآجر . (انظر : الوزان حسن : مصدر سابق . ص 138).

[7]- انظر ترجمته وتعريفه الكامل في المبحث الموالي .

كما كان للأمير إبراهيم بن الأغلب[1] دور في نشر المذهب المالك وذلك عندما امتد حكمه إلى بلاد الزاب فهذه الجيرة كانت تعتبر احد أسباب دخول هذا المذهب إلى المغرب الأوسط[2].

وكان هناك عدة طلبة من المغرب الأوسط لم يسمعوا من سحنون وإنما أخذوا الفقه من شيوخ القيروان ثم عادوا إلى بلادهم وكان لهم دور في نشر المذهب المالكي ومنهم :

. الفضل ابن سلمة البجائي : (ت319هـ)[3]

هو حافظ الحجة الفقيه الفضل ابن سلمة بن جرير الجهني البجائي[4] وأصله من ألبيرة[5] ورحل رحلتين أقام فيهما عشرة أعوام فسمع بالقيروان ولقي جماعة من أصحاب سحنون وكان حافظا لفقه مالك وله عدة مؤلفات في هذا المذهب كمختصر المدونة مختصر الواضحة[6]

---

[1] هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي كان فقيها ، أديبا وشاعرا ولاه هارون الرشيد حلم إفريقية في جمادى الثانية سنة 184هـ ، وكان سياسيا وعادلا رحيما برعيته توفي في شوال 196هـ . (انظر : ابن عذارى : مصدر سابق . ج1، ص92 ، زيتون محمد محمد : مرجع سابق . ص123).

[2] محمد جمال الدين عبد الله : مرجع سابق . ص 35

[3] الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ج1 ، ص257 ، يحي بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1995. ج1، ص15 .

[4] الجيلالي عبد القادر : نفسه . ص257.

[5] هي إقليم كبير من الأندلس يقع بين القبلة والشرق من قرطبة وبينه وبينها 90ميلا وفيه عدة مدن منها قسطيلية ، غرناطة ، بجانة . (انظر : ياقوت الحموي : مصدر سابق . ج1 ، ص322 ، ج2 ، ص61).

[6] ابن فرحون : نفسه . ص138.

ويذكر ابن فرحون أنه أقرأ ودرّس بالمسجد الجامع في بجاية[1].

. مروان بن أبي شحمة : (ت 242هـ)[2]

هو أبو الوليد مروان بن أبي شحمة المسيلي الإفريقي كان رجلا صالحا ثقة مستجابا فاضلا زاهدا بالدنيا من علماء المغرب الأوسط الذي كان سحنون يعرف فضله [3].

ب : دور ابن أبي زيد القيرواني وطلبته :

يعتبر ابن أبي زيد القيرواني بمثابة الناشر الحقيقي للأفكار المالكية في الأوساط الشعبية من خلال تكوينه للعديد من التلاميذ وتكوينه لكتب الفقه المالكي [4]، وقد اتسم عصر ابن أبي زيد القيرواني باضطراب فكري وصراع مذهبي وتباينت الأحكام وتعددت الروايات في المذهب الواحد وكثرت الأهواء والبدع فأدت إلى تفريق الجماعات وعرفت بلاد المغرب فصولا من

---

[1]- وجدنا ما يدعوا إلى التحقيق في كون هذا الفقيه استوطن بجاية ودرس بجامعها حسب ابن فرحون ونهج نهجه كل من المؤرخين يحي بوعزيز وعبد الرحمن الجيلالي ، إلاّ أن كتب التراجم الأندلسية كإبن الفرضي والحميدي والضبي في ترجمتهم له أنه بجاني ودرس ببجانة التي هي مدينة من أعمال إقليم إلبيرة بالأندلس ، بالإضافة إلى أن هذا الفقيه قد توفي في حدود 319هـ والمعلوم أن بجاية قد تأسست سنة 460هـ وأضحت حاضرة إسلامية كبرى تستقطب الطلبة والفقهاء ، أما جامعها فقد أنشأ في ثمانينيات القرن 5هـ إذا كان يقصده ابن فرحون . (انظر : ابن فرحون : مصدر سابق . ج2 ، ص137، 138 ، ابن الفرضي (ابو الوليد عبد الله بن محمد ت403هـ) : تاريخ عهد الأندلس ، تحقيق : بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي، تونس ،2008 . ج1، ص452 ، الحميدي (أبوعبد الله محمد بن نصر ت488هـ) : جذوة المقتبس في ذكر بلاد الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،1966. ص327 ، الضبي (أحمد بن عميرة ت 599هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تاريخ الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989. ج2 ، ص581).

[2]- الدباغ : مصدر سابق . ج2 ، ص106.

[3]- ابن فرحون : مصدر سابق . ج2 ، ص137.

[4]- عمارة علاوة : المرجع السابق . ص133

الاختلافات فجاءت أراء ابن أبي زيد القيرواني التي تحولت إلى مدرسة مالكية مغربية[1] ، التي تخرج منها العديد من الطلبة والفقهاء عن طريق الأخذ من ابن أبي زيد مباشرة بالقيروان أو عن الشيوخ رفاق ابن أبي زيد بحيث اختلفت بلدانهم من مختلف أقاليم المغرب الإسلامي ومن الذين اشتهروا بالمغرب الأوسط :

. عبد الرحمن بن الرشيق المسيلي (ت 380هـ / 898م)

استقر بالقيروان زمنا أخذ عن شيوخها ، تمكن من الفقه واللغة والتاريخ عالما بالأصول محدثا من أشهر الفقهية كتاب المبسوطة مما ليس في المدونة [2].

. عبد الله بن محسود الهواري (ت 401هـ /1010م)

كانت له رحلة إلى القيروان ، درس خلالها عن ابن أبي زيد وغيره وعند عودته أخذ معه كتاب الزيادات في مختصر المدونة [3].

. ابن عمرون الوهراني (لايوجد تاريخ وفاته)

هو الحكيم الرياضي والعالم والثقة أبو عبد الله بن يونس بن طلحة بن عمرون الوهراني أحد شيوخ العلم والحكمة له روايات واسعة عن شيوخ إفريقية كابن أبي زيد القيرواني وغيره من كبار

---

[1]- وشن مزيان :مرجع سابق : ص23

[2]- حركات إبراهيم : مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب الإسلامي حتى ق9هـ/ 15م ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م . ج2 ، ص245.

[3]- نفسه . ص192.

علماء عصره [1]، سافر إلى الأندلس في تجارة سنة 429هـ وسكن إشبيلية[2] فترة من الزمن[3].

. حسن بن علي المسيلي (ت580هـ / 1184م) :

سكن بجاية الحماديين وتولى بها الفتوى ، وبرع أصول الدين ووضع كتابا على نهج الإحياء[4] .

ويتضح مما سبق أن هؤلاء التلاميذ شكلوا بدورهم قطب القوة الفقهية المالكية بالمنطقة كل حسب نشاطه وإنتاجه الفكري ، وكان نفعهم للناس كبيرا وساهموا في نشر الفقه المالكي بمنطقة المغرب الأوسط .

ومن أهم تأليف ابن أبي زيد القيرواني التي بدورها ساهمت في نشر المذهب المالكي "الرسالة " و " النوادر والزيادات " اللتان أعطتا ديناميكية كبيرة في مواجهة تيار التشيع ، وتوطيد المذهب المالكي مراعيا لخصوصية المجتمعات[5] .

بالإضافة إلى ماقدمه مؤسس الدولة الحمادية حماد ابن بلكين أثناء محاربته للمذاهب الأخرى وإعتماده على المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة متأثرا بالمدرسة المالكية القيروانية

---

[1]- الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ج1 ، ص360.

[2]- وهي مدينة كبيرة عظيمة ليس بالأندلس اليوم أعظم منها (أي عصر ياقوت الحموي) تسمى حمص أيضا وبها قاعدة ملك الأندلس وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا . (انظر : ياقوت الحموي : مصدر سابق . م1 ، ص398)

[3]- ابن بشكوال (أبي القاسم ابن بشكوال ت494هـ) : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2010 . م1 ، ص389.

[4]- حركات إبراهيم : مرجع سابق . ج2 ، ص201.

[5]- عمارة علاوة : مرجع سابق . ص133.

وشيوخها الذين تفقها عنهم[1] ، فنتج عن رحيل الفاطميين إلى مصر تقتيل مجموعات العبديين ببلاد المغرب من طرف حماد ، فبعد إرتكابه لمجازر بنواحي القلعة انتقلت هذه المجازر إلى مدن إفريقية والقيروان وهذا بمباركة القيادات الفقهية المالكية[2] وبهذا قضى على التشيع وأظهر مذهب السنة ونبذ طاعة العبيديين جملة[3] .

ويظهر أيضا دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط خلال عصر الدولة الحمادية وذالك بعد الاضطهاد الذي عاناه أهل القيروان من طرف العرب الهلاليين[4]، انتقل على إثره الكثير من القيروانيين إلى ناحية بني حماد بالمغرب الأوسط فتحصنوا بالقلعة لكونها امنع الحصون[5]، فأصبحت القلعة عامرة بهم ، وكثرت بها الأموال وأخذت القلعة مكانة القيروان بعد الخسارة التي تلقتها من الهلاليين[6].

---

[1]- نفسه . ص134.

[2]- عمارة علاوة : مرجع سابق . ص132.

[3]- ابن خلدون : مصدر سابق . ج6 ، ص228.

[4]- نسبة إلى هلال بن عامر بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبّة كانوا قد استقروا في مصر مع غيرهم من أبناء القبائل الغربية منذ أكثر من مئة عام ، وكان الخليفة الفاطمي قد أكرههم بعد قتال شديد على الانتقال من دالتا إلى مصر العليا ، وهناك اتصلوا بالقرامطة و أصبحوا خطرا على الخلافة الفاطمية ، فلما كانت خلافة المنتصر رغب في التخلص منهم فوجههم إلى القيروان سنة1052م ، بحيث التمسوا لأنفسهم مركزا جديد في شمال إفريقيا. (انظر : الوزير المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت418هـ) : الإيناس في علم الأنساب ، إعداد : حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، 1980. ص271 ، بروكلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ، منير بعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1973. ط5 ، ص319).

[5]- ابن الأثير : مصدر سابق . ج9 ، ص372.

[6]- لوزيري سعيدة : مرجع سابق . ص159.

وبهذا ساهمت القيروان في نشر وترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الأوسط وحواضره التي أصبحت فيما بعد منارات علم تستقطب الطلبة لأخذ الفقه ومختلف العلوم من مختلف انحاء العالم الإسلامي .

المبحث الثالث : أعلام الفقه المالكي بالمغرب الأوسط

شهدت مدن المغرب الأوسط منذ ق3هـ عددا من الفقهاء الذين تفقهوا بفقه مالك بالقيروان والحجاز وعادوا لنشر مذهب مالك ابن أنس في بلادهم لانستطيع ذكرهم كلهم ومن بينهم نذكر:

أولا : بكر بن حماد

أ. **التعريف به ونشأته في طلب العلم :**

هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي[1] ولد حوالي سنة 200هـ /816م واخذ العلم عن علماء بلده[2]، رحل إلى البصرة سنة 217هـ وهو حديث السن فأخذ الحديث عن مسدد ابن مسرهد[3]

---

[1] الدباغ : مصدر سابق . ج2 ، ص281.

[2] الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ج1 ، ص241.

[3] هومسدد بن مسربل الأسدي الإمام الحفظ الحجة ، أبو الحسن الأسدي البصري أحد أعلام الحديث ولد في حدود 150هـ حدث عنه البخاري وأبو داود ، ولديه سند الحديث قل عنه أحمد ابن حنبل : " مسدد صدوق " توفي سنة 228هـ . (انظر : الذهبي (أبي عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان ت 748هـ) : سير أعلام النبلاء ، اعتناء : حسان بن المنان ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004 . ج3 ، ص 23. 38).

وغيره[1] ، واجتمع بأدباء وشعراء المشرق مثل أبي تمام[2]، وكان بكر ابن حماد نابغة في الأدب والشعر[3] ، فنظم قصائدا في مختلف الأغراض من مديح

وهجاء ورثاء وزهد ووعظ فمدح المعتصم بالله الخليفة العباسي[4] آنذاك ووصله بصلات

جزيلة[5] ، عاد إلى إفريقية قبل سنة 239هـ فأخذ الفقه المالكي عن عون ابن يوسف[6] وسحنون ابن سعيد بالقيروان[7] كما سمع أيضا من محمد ابن معاوية الحضرمي الطرابلسي[8] الذي كان من أصحاب مالك وسمع عنه[9] ،

---

[1]- الدباغ : مصدر سابق . ج2 ، ص281.

[2]- هو أبو تمام حبيب بن أوس شاعر عربي عباسي يعتبر أعلم شعراء الأدب العربي حيث تميز بالأناقة والغوص في المعاني وكثرة الغريب ، والرحل إلى البلدان كثيرة واتصل بالخليفة المعتصم فمدحه بقصائد عدد ، توفي عام 231هـ / 845م .
(انظر: البعلبكي منير : معجم أعلام المورد ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، 1991م . ص41).

[3]- الميلي مبارك : مرجع سابق . ج2 ، ص80.

[4]- هو أبو إسحاق محمد بن هارون ولد 178هـ وهو أول خليفة يضيف اسم الخلافة إلى اسم الله عزوجل ، بويع للخلافة في رجب سنة218هـ ، توفي بسمراء سنة 227هـ ودفن بها . (انظر : ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت580هـ) : النبلاء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : القاسم السمرائي ، دار الأفاق العربية ، القاهرة، مصر ، 1999 . ص 104، 110).

[5]- الباروني (عبد الله النفوسي) الأزهار الرياضية في أئمة وأخبار الملوك الإباضية (د ن ت) . ص71.

[6]- هو عون بن يوسف الخزاعي أبو محمد ولد سنة 150هـ ، وكان رجل صالح ثقة مأمونا رحل إلى المدينة سنة 180هـ ، أي بعد موت مالك بسنة واحدة أخذ العلم عن أصحاب مالك ومن لازموه وسمع عن ابن غانم والبهلول بن راشد . (انظر: أبو العرب (محمد بن أحمد بن التميم التميمي ت333هـ) : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، ص105 ، القاضي عياض : مصدر سابق . ص59).

[7]- نويهض عادل : مرجع سابق . ص59.

[8]- هو أبو عبد الله بن معاوية الحضرمي الطرابلسي سمع من مالك وأصحابه ، كان ثقة مشهورا له رواية للموطأ عموانها " جامع الجامع " . (انظر : الطالبي محمد : مرجع سابق . ص84،83).

[9]- القاضي عياض : مصدر سابق . ص83.

كما أخذ عن محمد ابن رزين[1] بسوسة.

ب. أعماله :

تصدر بكر ابن حماد بجامع القيروان وجلس لإملاء الأدب والعلم سنة274هـ[2] وارتحل إليه الكثير من أهل إفريقية والأندلس للأخذ عنه[3].

فقد أخذ عنه بإفريقية أبو العرب التميمي[4] صاحب كتاب طبقات علماء إفريقية ، ومن الأندلس أخذ عنه قاسم ابن الأصبغ[5] ، لكونه من الأئمة المكثرين لحفظ القرآن ويثني عليه البكري ويقول : " كان ثقة حافظا للحديث "[6] ، وبعد أكثر من عشرين سنة قضاها بإفريقية بين طلب العلم والتدريس بالجامع الكبير بالقيروان عاد إلى بلده تيهرت ، فأثناء عودته وفي رحلته تعرض له قطاع الطرق وهو مع ابنه عبد الرحمن فجرح بكر ابن حماد وقتل ولده الذي نظم فيه قصيدة يرثيه فيها منها أبيات :

---

[1]- هو محمد بن رزين كان ثقة صالحا سكن بسوسة سمع من أ سد بن الفرات وعبد الله بن عبد الحكم وآخرون ، كان حافظا للحديث توفي سنة255هـ ودفن بها . (انظر : القاضي عياض : نفسه . ص155، 156). بسوسة

[2]- الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ج1 ، ص251.

[3]- نويهض عادل : مرجع سابق . ص59.

[4]- هو محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي ، كان جده تميم بن تمام من أمراء إفريقية ، سمع من جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال إفريقية كأحمد بن عمرو وأبي داود العطار، كان رجلا صالحا ثقة عالما بالسنن والرجال كثير الكتب كريم النفس توفي 333هـ .(انظر : القاضي عياض : مصدر سابق . ج2 ، ص41،40).

[5]- ابو محمد قاسم بن الأصبغ الفرطبي يعرف بالبياني إمام فقيه ومحدث سمع من محمد بن إسماعيل الترميذي وعبد الله أحمد بن حنبل وجماعة من أهل المغرب والمشرق له مصنفات في الحديث أخرجها على سنن أبي داود وله مسند حديث مالك وكتاب أحكام القرآن وغير ذالك توفي سنة 340هـ . (انظر : ابن مخلوف : مصدر سابق . ص133).

[6]- لوزيري سعيدة : مرجع سابق . ص79.

بكيت على الأحبة إذ تولوا ولو أني هلكت بكــوا عليا

فيا سكني بقاؤك كان ذخرا وفقدك فقد كوى الأكباد كيا

كفى حزنا بأني منك خــلوا وانك ميت وبقيـت حيا [1]

ج . وفاته :

بعد وصوله إلى تيهرت متأثرا بما حدث لابنه وبالجروح التي أصابته [2]، بعد سنة من عودته توفي سنة 296هـ وهي نفس السنة التي سقطت بها الدولة الرستمية ودفن بتاهرت [3].

ثانيا : أحمد بن نصر الداودي :

هو شيخ الإسلام وإمام علماء الشريعة المجتهدين الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي التلمساني[4] ، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة فقيه من فقهاء المالكية بالمغرب أقام بطرابلس الغرب مدة [5]، وبها ألف كتابه في شرح الموطأ ثم رحل إلى تلمسان[6] ، أخذ عنه عبد الله البوني وأبو علي بن الوفاء وأبوبكر بن محمد ابن أبي زيد وعليه تفقهوا[7]، وكان درسه وحده

---

[1]- البكري : مصدر سابق . ص67.

[2]- الدباغ : مصدر سابق . ج2 ، ص282.

[3]- نويهض عادل : مرجع سابق . ص59.

[4]- الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ج1،ص361.

[5]- نويهض عادل : نفسه . ص141.

[6]- ابن فرحون : مصدر سابق . ج1، ص166.

[7]- القاضي عياض : مصدر سابق . ج2 ، ص228، 229.

فلم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وانما وصل بإدراكه[1] ، ونستدل على هذا في رواية للقاضي عياض بلغته أنه كان يّنكر على معاصريه من علماء القيروان سكانهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بين أظهرهم وأنه كتب إليهم مرة بذلك فاجبوه أسكت لا شيخ لك [2].

وقد أثنى عليه كل من ابن فرحون المالكي والقاضي عياض فيذكر الأول الذي صنفه في الطبقة السابعة في طبقات المالكية بقوله : كان فقيها فاضلا ، عالما متقنا، مؤلفا مجيدا"[3] ، ويقول عنه القاضي عياض : " كان فقيها فاضلا متفننا ، له حفظ من اللسان والحديث والنظر"[4] .

ب. مؤلفاته :

ترك العديد من المؤلفات في فقه مالك والحديث أهمها : كتاب القاضي في شرح الموطأ والواعي في الفقه ، والنصيحة في شرح البخاري ، الإيضاح في الرد على الفكرية وأيضا كتاب الأصول ، البيان الأموال وغيرها[5] .

---

[1]- ابن فرحون : نفسه . ص166.

[2]- القاضي عياض : نفسه . ص228.

[3]- ابن فرحون : مصدر سابق . ج1، ص 160.

[4]- القاضي عياض : مصدر سابق . ج2 ، ص228.

[5]- نفسه . ص228.

ج. وفاته :

توفي رحمه الله بتلمسان سنة 402هـ ودفن شرقي باب العقبة وضريحه مشهور بها[1] ويوجد خلاف في سنة وفاته فنجد أنه قيل توفي سنة 411هـ [2] ، ونجد 307هـ[3]

وقيل في أواخر ق4هـ[4] والأول هو الأصح حسب عياض.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل تبين لنا الدور الكبير الذي قامت به القيروان في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط وجهود فقهاء المالكية في تدعيم الفقه المالكي من نشرهم لكتب الفقه وتخريجهم لعدد كبير من الفقهاء استطاعت من خلالهم ترسيخ مذهب مالك بن أنس بالمنطقة .

[1]- الجيلالي عبد الرحمن : مرجع سابق . ج1، ص351.

[2]- القاضي عياض : نفسه . 229.

[3]- ابن مخلوف : مصدر سابق . ج1، ص123.

[4]- عادل نويهض : مرجع سابق . ص 141.

- **<u>الفصل الثالث :</u> دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي**

-المبحث الأول : دراسة جغرافية و بشرية لبلاد السودان الغربي

-المبحث الثاني : إسهامات القيروان في إيصال المذهب المالكي إلى بلاد السودان الغربي

استطاع المذهب المالكي أن يتوغل حتى بلاد السودان الغربي وجنوب الصحراء وذالك نتيجة مراعاته لتقاليد وأعراف الشعوب ، فهو مذهب عملي يعتد بالواقع ، ويتماشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد ، وأيضا نتيجة الدور الكبير الذي لعبه أهل المغرب الإسلامي المالكيين في نشره عبر مختلف الأقاليم ، وتعتبر القيروان التي كانت إحدى محطاته الأولى في القارة الإفريقية والتي عملت بدورها على نشره بمختلف الطرق من فقهاء وأمهات الكتب في الفقه المالكي واستطاعت أن تبرز حضورها في تدعيم هذا المذهب وتخريجها عدد هائل من الفقهاء الذين حملوا لواء الفقه المالكي القيرواني إلى السودان الغربي .

المبحث الأول : دراسة جغرافية وبشرية للسودان الغربي :

لا يمكن التحدث عن دور القيروان في نشر المذهب المالكي وأهم أعلام الفقه المالكي بالسودان الغربي دون التطرق لإعطاء دراسة جغرافية وبشرية للمنطقة وهذا قصد التعرف ولو بالقليل على هذا الإقليم وعلى أهم السلالات والقبائل التي كانت موجودة با لمنطقة .

اولا : الإطار الجغرافي :

اصطلح الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب المسلمون في العصور الوسطى على تسمية الأقوام التي تقطن جنوب الصحراء بكلمة السودان إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ

أحيانا على كل السود الإفريقيين[1]. ويصفها الأصطخري ويقول : " ...فإن بلاد السودان الذي في اقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنف[2] ، ليس بينه وبين شيء من المماليك اتصال غير أن حدا له ينتهي إلا البحر المحيط ، وحدا له بينه وبين أرض المغرب ، وحدا له بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات وحدا له ينتهي إلى البرية "[3]، كما أطلق البكري كلمة السودان في القرن الخامس هجري وذكر مدنها : " ومدينة صنغانة (سنغاي)[4] مدينتان على ضفتي النيل[5] وعمارته متصلة إلى بحر النيل ويلي مدينة صنغانة مابين الغرب والقبلة مدينة تكرور[6] أهلها سودان...وتسير من مدينة تكرور إلى مدينة سلى وهي مدينتان على شاطئ

1- الدالي الهادي مبروك :التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء،الدار المصرية اللبنانية ،الإسكندرية، مصر، 1996م . ص17.

2- وهي مأخوذة من الكنف والجمع أكناف ، وكنف الرجل حضنه يعني العضدين والصدر وهو الجانب والناحية أي يمينه وشماله ، وكنف الله هو رحمته نقول : اذهب في كنف الله وحفظه أي بمعنى حرزه وحفظه وحمايته ووضع حاجز عن ما يضره، (انظر : ابن منظور: مصدر سابق ،ص308).

3- الأصطخري : مصدر سابق . ص10 ، 11.

4- نسبة إلى قبيلة سنغاي وهي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر، وفي القرن السابع ميلادي كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي 150كلم . (انظر: الزبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر. ص25).

5- وهو نهر النيجر ويذكره ابن بطوطة انه واد عظيم ينحدر من زاغة إلى تمبكتو ثم إلى كاوكاو. (انظر : ابن بطوطة (محمد ابن إبراهيم ت 719هـ) : تحفة النظار ، المطبعة الخيرية ، (د م) ، 1322هـ . ج2، ص236.

6- هم شعب من الزنوج يسكن معظم فوتا السنغالية ، ويعيش شعبة منهم فيما بين النيجر وبحيرة التشاد ولاسيما في سكوتو ومن المحتمل أن يكون التكرور هو الاسم الذي كانت تعرف به في وقت من الأوقات مدينة بالقرب من نهر السنغال والمملكة -التي كانت عاصمتها هذه المدينة ، وموضعها الآن فوتا السنغالية ثم أطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة ، وجرى العرب من بعده على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان حتى أصبحت كلمة التكروري في نظر العرب مرادفة لكلمة السوداني. انظر : (التونسي محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل محمد عساكر ، مصطفى محمد مسعد ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1965. ص 135).

النيل أيضا ...وبين سلي ومدينة غانة[1] مسيرة عشرين يوما . "[2]

ويذكر القزويني بلاد السودان على أنها بلاد كثيرة والأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى بحر المحيط[3] .

ويصف حدودها القلقشندي بأنه يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب خراب ، مما يلي خط الإستواء ومن الشرق بحر القلزم[4] مما يقابل بلاد اليمن ، ومن الشمال براري تمتد بين مصر وبرقة وبلاد البربر[5].

أما في العصور الحديثة القرن العاشر هجري حددها حسن الوزان بقوله : "...أرض السودان فيبتدأ شرقا بمملكة بمملكة كاوكة[6] ويمتد غربا إلى مملكة ولاتة[7]

1- ويذكر دولا فوس أن غانة التي يذكرها البكري هي مدينة كومبي صالح .
انظر: (Delafosse Maurice : les Noire de l'Afrique, Paris, 1941. p41)

2- البكري : مصدر سابق . ص172.

3- القزويني: مصدر سابق . ص24 .

4- هو البحر الأحمر .

5- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت821هـ) : صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، تحقيق : عبد القادر زكار ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ،1973 . ج5 ، ص273.

6- هو إقليم يتاخم بورنو غربا ، ويمتد شرقا إلا حدود مملكة نوبيا الواقعة على النيل وينتهي جنوبا بصحراء تتاحم أيضا منعرجا للنيل ، ويسير شمالا الى صحراء سيرت وتخوم مصر ثم يمتد من الغرب على الشرق على طول نحو خمسمائة ميل، وعلى نفس المسافة عرضا بالتقريب . (انظر : الوزان حسن : مصدر سابق . ج2 ، ص178،177).

7- هي مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان . فليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاثة قرى كبيرة ...وتبعد هذه القرى بنحو ثلاثمائة ميل جنوب نون ، وخمسمائة ميل شمال تنبكتو ، ومائة ميل من المحيط . (انظر : الوزان حسن: نفسه. ج2 ،ص161).

ويتاخم بالشمال صحراء ليبيا وينتهي جنوبا إلى بحر المحيط في مواقع لا نعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين أتواإلى مملكة تنبكتو[1] وهو كثير."[2]

أما في الفترة المعاصرة فقد تم تقسيم هذه المنطقة إلى ثلاث مناطق هي : السودان الشرقي[3]والسودان الأوسط[4] والسودان الغربي .وهذا القسم الأخير هو مجال دراستنا حيث أطلق بعض مؤرخي العرب على هذه المنطقة اسم بلاد التكرور وأصبحت كلمة التكرور مرادفة لكلمة السودان ، وظل مصطلح بلاد التكرور تطلق على السودان الغربي أو الجزء الجنوبي من الصحراء الكبرى[5].

إن اصطلاح غرب إفريقيا والسودان الغربي كلاهما يدل على ما نسميه بمنطقة غرب إفريقيا التي تمتد في القارة من بحيرة التشاد في الشرق حتى ساحل المحيط بالغرب فيمتد من

---

[1]- اسم هذه المملكة حديث ، وتمبكتو اسم مدينة بناها ملك يدعا منسى سليمان عام 610هـ . على بعد نحو اثني عشرة ميل من أحد فروع النيجر ، ودور تمبكتو عبارة عن أكواخ مبنية في أوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن وفي وسط المدينة مسجد مبني بالحجر المركب بالطين على يد مهندس أندلسي ...(انظر : الوزان حسن : نفسه . ج2 ، ص165).

[2]- الوزان حسن : نفسه . ج1، ص29.

[3]- يشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة ، وقد غلب عليه عند العرب بين القرن التاسع والثاني عشر ميلادي اسم بلاد الزنج إلا أنا كلمة السودان كانت تشمله أيضا .(انظر : الزبادية عبد القادر : مرجع سابق. ص15).

[4]- يشمل السودان الأوسط المناطق المحيطة ببحيرة تشاد . (انظر : زبادية عبد القادر : نفسه . ص15)

[5]- الجمل شوقي ، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله : دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة ،1998. ص05.

ساحل السنغال في حدود نيجيريا الشمالية ونقطة ارتكازه هي حوض السنغال وحوض نهر النيجر[1] الأعلى والأوسط[2].

ثانيا : السلالات وأهم قبائل غرب إفريقيا

عاشت وتركزت في السودان الغربي السلالة الزنجية حيث سكنوا هذه المنطقة منذ أقدم العصور فحسب ابن خلدون فإن هذه السلالة تنتمي إلى حام بن نوح[3]، فقد استقروا في المناطق التي تلي الصحراء الكبرى في بلاد السودان الغربي وفي منطقة الغابات وفي الأراضي الزراعية الواقعة بين الصحراء ونهر النيجر والسنغال والبلاد المطلة على خليج غينيا[4]. كما عاشت أيضا في هذه المنطقة أيضا إلى جانب سلالة الزنوج السلالة البيضاء فتركزت في الصحراء الكبرى في شطرها الغربي وهم خليط من البربر والعرب أتوا عن طريق الهجرات ويعيشون على الحافات الساحلية الممتدة على الضفة اليمنى لنهر السنغال والضفة اليسرى لنهر النيجر بالإضافة إلى مجموعة من القبائل العربية في جنوب موريتانيا وشمال منحى النيجر[5] .

أما من ناحية تقسيم وتوزيع القبائل في السودان الغربي فهناك صعوبة في إعطاء صورة مفصلة لمواطن القبائل لأن المصادر القديمة لم تعطنا معلومات كافية باستثناء بعضها مثل

---

[1]- انظر الملحق رقم :06 .

[2]- الجمل شوقي ، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله : نفسه . ص05

[3]- أبن خلدون العبر: مصدرسابق . ج2 ، ص14 ، الوزان حسن : مصدر سابق . ج1 ، ص35.

[4]- محمد علي ذهني : مرجع نفسه . ص27.

[5]- نفسه . ص26.

التكرور فقد تكلموا عنها بشكل عام[1]، وترتبط هذه القبائل والشعوب برباط يوحدها هو بالأساس اللغة ثم العناصر الحضارية بالدرجة الثانية ، كما وأن غالبية هذه الشعوب ترتبط بأصل واحد ، ونجد بين هذه السودانية العديد من القوميات التي تختلف في أصولها عن العنصر الزنجي[2]. ومن أهم قبائل السودان الغربي نذكر :

أ.االفولاني:

ينتمي هؤلاء إلى السلالة البيضاء و هم الجنس الوحيد الأبيض أو الأحمر في إفريقيا الزنجية[3] وهم قبائل صغيرة متناثرة تحيى حياة رعوية واشتهروا بعدم خضوعهم لأي ملك من ملوك الأراضي التي يقيمون بها[4] وقد اختلف في أصلهم فمنهم من يرى أن الفولان قد يكونون من أحفاد الهنيهين[5]، كالبكري الذي يقول أنهم من ذرية جيش بني أمية الذي أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام[6] ومنهم من يرى أنهم بربر[7] ومنهم يرى أنهم من العبرانيين الذين في أدرار

[1]– حسن محمد نبيلة : في تاريخ الحضارة الإسلامية . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص231.

[2]– محزوم عطية الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة قان يونس ، بنغازي ،1998. ص21

[3]– عبد الماجد إبراهيم عبد الله : الغرابة ، دار الحاوي للنشر و التوزيع ، 1998 .ص132 .

[4]– محمد علي ذهني الهام : مرجع سابق . ص27 .

[5]– حسن محمد نبيلة : نفسه . ص232

[6]– البكري : مصدر سابق . ص179.

[7]– مخروم عطية الفيتوري .: نفسه . ص27 .

وأعالي السنغال[1] ، هاجروا مصر في عهود الفراعنة غلى شمال إفريقيا[2] ، وقد استوطنوا في بادئ الأمر ثم تسربوا في أزمنة مبكرة في جميع أقاليم المنطقة كإقليم السنغال الأوسط وكذا السودان الأوسط[3].

ب. الماندينغ (الماندينجو) :

إن شعب الماندي[4] يشكل غالبية السكان في الأقاليم الواقعة بين روافد عليا لثلاث أنهار رئيسية بالغرب هي السنغال وجامبيا وأعالي النيجر[5] و قد انتشروا في جميع أقاليم السودان الغربي الواقعة في جنوب السنغال وأعالي النيجر أي من المحيط إلى قلب النيجر وقد تفرعو إلى عدة قبائل و بطون أهمها البامبارا ، المالنكي ، الجالونكي ، والسوننكي[6]، وكانت هذه الشعوب أهم العناصر لشعوب ودويلات السودان الغربي غانا و مالي.

---

[1]- محمد علي ذهني إلهام : نفسه .

[2]- محزوم الفيتوري عطية : مرجع سابق . ص28.

[3]- سموا بشعوب الماندي لأنهم يتكلمون نفس اللغة المسماة لغة الماندي .

[4]- أنظر الملحق رقم : 06 .

[5]- استوطن السوننك الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ما يعرف بالساحل ، وهم من حكموا غانا بعد البيضان وحدث امتزاج بينهم وبين البربر . (انظر : الدالي الهادي مبروك : مرجع سابق . ص 23).

[6]- مخزوم الفيتوري عطية : نفسه . ص24

ج. الجولوف (الولوف):

هم يقطنون مساحة كبيرة من السنغال وجامبيا[1] ، ويحتل هذا الشعب الشريط الساحل الواقع بين سانت لويس والرأس الأخضر ومنطقة داكار[2]، كما يحتلون الشريط الجنوبي لنهر السنغال والواقع أن قبائل الولوف هم أشد القبائل سوادا وأكثرها ثرثرة لذالك يعرفون بالثرثارين[3]. بالإضافة إلى قبائل السيرر والتكرور التي امتدت مضاربها على طول ضفتي السنغال ،وقبائل الموسي أو الموشي التي أقامت مملكة وثنية في منحنى نهر النيجر[4].

وهناك قبائل أخرى عاشت بمنطقة السودان الغربي لا نسطيع دراستها بالكامل لكي لا نخرج عن موضوع بحثنا.

المبحث الثاني : إسهامات القيروان في إيصال المذهب المالكي إلى االسودان الغربي

أولا : انتشار الإسلام في السودان الغربي قبل القرن الخامس هجري :

لقد شهد السودان الغربي انتشار الإسلام منذ القرن الأول هجري وهو ما صنع عصر جديد داخل شعوب هذه المنطقة التي كانت في القديم شبه مجهولة عن العالم وغارقة في

---

[1]- Trimingham Spenser : Islam In west Africa , oxFord , London , 1962 . p13.

[2]- انظر الملحق رقم :06 .

[3]- فيج .جي .دي : تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة : السيد يوسف نصر ، مراجعة : بهجت رياض صليب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982. ص80

[4]- حسن محمد نبيلة : مرجع سابق .ص274

الديانات الوثنية وإن قضية إنتشار الإسلام في هذه المنطقة تجلت بصورة واضحة في الدور الكبير الذي لعبته العلاقات التجارية التي ربطت منطقة السودان الغربي ببلاد الإسلام في شمال القارة الإفريقية .

لقد وصلت العلوم الإسلامية والثقافة العربية إلى منطقة السودان الغربي عبر ممرات الصحراء الكبرى[1] ، فبفضل الفتوحات الإسلامية للمغرب وجنوب الصحراء في القرن الأول هجري ونشروا الإسلام الذي غطى المنطقة برمتها بل وجاوزها ، وفي الصحراء جنوب المغرب الأقصى كانت قبائل البربر أبناء المنطقة اعتنقوا الإسلام لاسيما قبيلة صنهاجة التي كانت تزاول تجارة الذهب مع قبائل السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى ، فقد اتخذت جهود نشر الإسلام بين سكانها الطابع الفردي من خلال تجارة المسلمين في حلهم وترحالهم وعن طريق ممارستهم للعقيدة الإسلامية حصلت الشعوب التكرورية على المعارف الأساسية[2]،فالطرق التجارية الممتدة في الصحراء الكبرى بين شمال القارة وغربها كان لها أثر كبير في انتقال الفقهاء الذين نشروا الإسلام في غرب القارة، بعد أن إستقروا في المدن والمراكز التجارية في السودان الغربي مثل : غانة ، جني[3]،

[1]- أنظر الملحق رقم : 05 .

[2]- برايما باري عثمان : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين ، القاهرة ،2000م. ص04.

[3]- هي مدينة مشهورة في حوض النيجر جنوبي تنبكتو . (انظر : الوزان حسن : مصدر سابق . ج2، ص162).

كانو[1]، مالي[2] ، جاو[3] وغيرها من المراكز[4] .

فحركة التجار بين الشمال والجنوب كانت نشطة وذات بدايات مبكرة فقد كانت هناك حاصلات في الشمال تحتاجها سكان الجنوب في مقدمتها الملح والمنسوجات كما كانت هناك حاصلات إفريقية يحتاجها سكان الشمال كالذهب والأخشاب وجلود الحيوانات[5].

ويذكر الناصري أن تجار المغرب كانوا يجتمعون في سجلماسة حاضرة بني مدرار ثم يسيرون في قوافلهم إلى غانة وكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشهر ذهابا وفي شهر ونصف إيابا وكانوا يبيعون ما معهم من الأمتعة بالتبر[6]، وكان دخول القوافل التجارية إلى بلاد السودان يرافقهم الفقهاء وهذا ما نجده عند التجار الإباضيين الذين كانوا أكثر منهم فقهاء خالطوا أهل السودان الغربي وتركوا فيهم آثار بعيدة المدى حيث كان هدفهم في نشر الإسلام أعظم بكثير

---

[1]- هي مدينة في وسط إقليم كانو الذي إستمد إسمه منها وهو إقليم كبير يبعد نحو 500ميل شرقي النيجر .
(انظر : الوزان حسن : نفسه . ص173).

[2]- هي إمبراطورية قامت في السودان الغربي بعد سقوط إمبراطورية غانة في منطقة ضمت الشرق الموريتاني الحالي حيث تقع عاصمتها نياني والشمال الغربي لحوض نهر النيجر، ومعنى كلمة مالي البرنيق أي فرس النهر بلغة البمبارا. (انظر : برايما باري عثمان : نفسه . ص39).

[3]- هي مدينة تقع على نهر نيجر تبعد حوالي 150كلم إلى الشمال من مدينة كوكيا عاصمة دولة سنغاي الأولى ثم في القرن الخامس هجري أصبحت جاو عاصمة سنغاي لما أشتهرت به باجتذاب الأنشطة التجارية عبر الصحراء الكبرى واستقرار المهاجرين فيها . (انظر : زبادية عبد القادر : مرجع سابق .ص25 ، 26 ، برايما باري عثمان : نفسه . ص45).

4- الجمل شوقي ، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله : مرجع سابق . ص06

[5]- مخزوم الفيتوري عطية : مرجع سابق . ص103.

[6]- الناصري (أبو العباس أحمد ابن خالد ت 1315هـ): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997. ج2 ، ص182 .

من الذهب الذي كانوا يحصلون عليه ، وكانت جهود هؤلاء الفقهاء الأسس التي قامت عليها دولة مالي الإسلامية والتي كانت غالبية سكانها مسلمين لهم مساجدهم وفقهائهم[1].

ثانيا : دور القيروان في نشر المذهب المالكي :

يمكن أن يظهر دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي بصورة واضحة في أهم الأعلام الذين تفقهوا بها والذين تأثروا بالمدرسة المالكية القيروانية من مختلف بقاع المغرب الإسلامي ثم قاموا بنشر الفقه المالكي في غرب القارة ، بالإضافة إلى ماقامت به من نشر الكتب الفقهية التي أعطت مساهمة كبيرة في ترسيخ المذهب المالكي في هذا الأقليم .

أ . الحركة المرابطية :

لقد كان للحركة المرابطية دور كبير كبير في نشر الإسلام وتصحيحه في السودان الغربي وذالك على فقه مالك ، وكان ذالك بفضل الفقيه عبد الله ابن ياسين[2] من أتباع المدرسة المالكية

---

[1]- الحريري محمد عيسى : مرجع سابق . ص212.

[2]- هو عبد الله ابن ياسين ابن مكوك بن علي وأمه تين يزامارن من أهل جازولة من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء غانة دخل الأندلس في دولة ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين فحصل على علم كثير ثم عاد إلى المغرب الأقصى كما درس عند وجاج ابن زلو الذي درس عند فقيه القيروان أبوعمران الفاسي جمع بين علم الأندلس وعلم القيروان ، توفى يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة 451هـ. (انظر : مجهول (ق8هـ) : الحلل الموشية في ذكر الأحبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار ، عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،1979 . ص20 ، عبد اللطيف دندش عصمت : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 . ص64 ، ابن الخطيب (الوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب) : أعمال الأعلام (القسم الثالث : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) تحقيق : أحمد مختار العبادي ، محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 . ص 230 ، البكري : مصدر سابق . ص165).

القيروانية[1] ، حيث أنه أخذ الفقه المالكي عن شيخه بالسوس وجاج ابن زلو الذي أخذ بدوره الفقه المالكي من القيروان عن الفقيه أبو عمران الفاسي[2] ، وكان لهذا الأخير دور في ظهور الحركة المرابطية ونشر المذهب المالكي وذالك عندما قصده يحي ابن إبراهيم زعيتم قبيلة صنهاجة حيث إرتاد مجلسه بالقيروان ، فبعدما حاوره أبو عمران الفاسي وطرح عليه بعض التساؤلات تبين جهله في أمور دينه وأجابه بأنهم قوم منقطعون في الصحراء لا يصلهم إلى

البلادهم إلا التجار الذين حرفتهم البيع والشراء[3] ، فأظهر رغبته في العلم وسأل أبوعمران الفاسي أن يرسل معه فقيها يعود به إلى قومه الملثمين يعلمهم أمور دينهم ، فأشار عليه بأن يتوجه نحو السوس مرسلا معه كتابا[4] إلى تلميذه وجاج ابن زلو، فبعث معه عبد ابن ياسين الذي كان عارفا بأمور الصحراء وطبائع قبائلها فعلمهم دينهم[5] ، وبهذا كانت بداية حركة عبد الله ابن ياسين الإصلاحية التي تمثلت في نشر الإسلام وتصحيحه والتي إنتقل بها إلى

---

[1] مخزوم الفيتوري عطية : مرجع سابق .ص21.

[2] هو موسى ابن عيسى ابن أبي حاج أو يحج ابن وليهم بن الخير الغفجومي ، وغفجوم فخذ من زناتة البربرية ويقال من هوارة أصله من فاس ولد سنة 363هـ ، واستوطن القيروان وتفقه بها على يد أبي الحسن القابسي ورحل إلى قرطبة فتفقه بها عند أبي محمد الأصيلي، ثم رحل إلى المشرق فحج ودخل العراق وسمع عن الكثير من علمائها ثم رجع إلى القيروان وأصبح إماما بها فأخذ عنه الناس وتفقهوا ، توفي سنة 430هـ . (انظر: القاضي عياض : مصدر سابق . ج2 ،ص282 ، 283)

[3] عباس نصر الله سعدون : دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985. ص20.

[4] انظر نص الكتاب : الملحق رقم : 01 .

[5] ابن أبي زرع (أبي الحسن علي ابن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي) : الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس ، ترجمة وتصحيح : كارل يوحن تورنبرغ ، دار الطباعة المدرسية ، مدينة اوبسالة ، 1843. ص78.

السودان الغربي بسبب ظروف قاهرة أجبرته على الرحيل واستقرا بجزيرة في حوض السنغال سنة 433هـ بنى بها رباطا[1]، يعلم فيه مذهب مالك ابن أنس رضي الله عنه[2]، وكثر موريدوه وأتباعه.

وهذا ماساعده على ترسيخ تعاليم المذهب المالكي بالمنطقة ونقله بمساعدة تلامذته إلى مدن وقبائل السودان الغربي المجاورة للجزيرة التي استقرابها وذالك عن طريق طريق دعوة دينية حية بين السود القاطنين حين ذاك على ضفة السنغال وكذالك الشعوب النيجيرية[3] ، كما تحالف المرابطون مع ملوك التكرور[4]، الذين أظهروا الطاعة والخضوع للإسلام حيث نجد عند البكري ورجابي بن رابيس هو أول ملوك التكرور الذين دخلوا الإسلام وذالك في النصف الأول من القرن الخامس هجري كما أنه توفي سنة 433هـ ويضيف أن أهل تكرور اليوم مسلمون أي في عصره[5]. كما أن هناك رواية تذكر أن أحد تلاميذ عبد الله ابن ياسين والذي تنشر عنه أساطير كثيرة وسمي بأسماء منها أبى الدرداء حيث قام بإدخال أمراء وأعيان التكرور في الإسلام[6]. كما قام عبد الله ابن ياسين بنشر المذهب المالكي في مدن وحواضر السودان الغربي حيث قام

---

[1]- عباس نصر الله سعدون : مرجع سابق . ص26.

[2]- البكري : مصدر سابق . ص164.

3- حسن محمد نبيلة : مرجع سابق . ص294.

[4]- دندش عصمت عبد اللطيف : مرجع سابق . ص85.

[5]- البكري : مصدر سابق . ص172

[6]- Dlafose : les noirs de l Afrique . p48.

بالدخول إلى مدينة أوداغست[1] ثاني مدينة في إمبراطورية غانة الوثنية عام 426هـ ، وبعد عامين من استقرار المرابطين في المدينة قاموا بإنشاء رباط بها سنة448هـ كمركز من مراكز الجهاد ونقطة انطلاق نحو القبائل[2] ، وفي نفس هذه السنة استشهد يحي ابن عمر وخلفه أخوه أبوبكر ابن عمر زعيما على صنهاجة[3] الذي ساهم في نشر الإسلام إلى جانب عبد الله ابن ياسين[4].

وقد توفى عبد الله ابن ياسين الزعيم الديني للمرابطين سنة 451هـ الذي لم يكن مجرد فقيه بل كان صاحب دعوة وإصلاح للإسلام على أساس مذهب مالك[5] ، وأكمل من بعده أبو بكر ابن عمر في نشر التعاليم الدينية الصحيحة فجمع بين الزعامتين الدينة والسياسية وأخضع قبائل السوننكي التابعين لمملكة غانة وخيرهم بين الجزية والإسلام ، كما أخضع مسيرة

---

[1]- هي مدينة بين جبلين تحاذي السوس الأقصى جنوبي مدينة سجلماسة وتفصلها عنها مسيرة شهرين ، وهي مدينة ذات أسواق جليلة يسافر إليها من كل بلد وأهلها مسلمون ويقرؤون القرآن ويتفقهون قد أسلموا على يد المهدي عبيد الله الشيعي . (انظر : ياقوت الحموي : مصدر سابق . ج1. ص370).

[2]- الدالي الهادي مبروك : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء ،الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1999 . ص44.

[3]- تنتسب إلى صنهاج من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، فهم يرفعون نسبهم إلى حمير وأنهم خرجوا من اليمن وارتحلوا إلى الصحراء وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة منهم لمتونة ، مسوفة ، جدالة ولمطة ، وهم صحراويون .(انظر : ابن الخطيب: مصدر سابق . ص225 ، صاحب الحلل الموشية : ص28).

[4]- حسن محمد نبيلة : مرجع سابق . ص294.

[5]- دندش عصمت عبد اللطيف : مرجع سابق . ص 90.

ثلاثة أشهر من بلاد السودان ونشر بها الإسلام[1] إلى أن وصل عاصمة غانة كومبي صالح سنة 469هـ[2] وصارت غانة الوثنية تحت رحمة المرابطين.

ب . كتب الفقه المالكي :

إن تاريخ مسيرة الإسلام ببلاد السودان يبرهن على أن إنفعال السودانيين مع الإسلام كان متواضعا وبسيطا بمجمله، فهذه الحالة لم تكن تأهل السودانيين لخوض غور أو فهم الأصول المادية والحسية المعنوية ، التي أفرزت لنا مجموع المذاهب المنتشرة في البلاد الإسلامية فبالأحرى الاختيار بينها[3] ، فقد تصادف أن حصول السودانيين على أمهات كتب الفقه المالكي جعلتهم يحبون الإسلام وذالك لحفاظ هذا المذهب على أعراف المجتمعات – كما ذكرنا من قبل في مقدمة الفصل – ، فسعوا إلى الحصول على كتب الفقه المالكي وذلك من خلال ما نجده

في المصادر العربية التي أطلعتنا على بعض الروايات كملك مالي منسى موسى[4] الذي استغل فرصة إقامته بالقاهرة أثناء رحلة حجه لشراء مجموعة من كتب الفقه المالكي[5] ، إلا أن المادة

---

[1]- نفسه . ص101 ، 103.

[2]- الدالي الهادي مبروك : مرجع سابق . ص45.

[3]- الشكري أحمد : الإسلام والمجتمع السوداني : إمبراطورية مالي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1999. ص229.

[4]- هومنسى موسى بن ماري جاطة ملك مالي مابين (712 . 737 هـ) عرفت مالي في عهده أوج ازدهارها ، واشتهر برحلة حجه الكبرى التي قام بها في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس فدخل منسى موسى القاهرة سنة 724هـ .
(انظر : المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2000م . ص140 ، 141 ، برايما باري عثمان : مرجع سابق . ص39).

[5]- المقريزي : مصدر سابق . ص143.

الإخبارية لا تخبرنا عن عناوين المصنفات التي اشتراها السلطان ، على غرار شرح مختصر أبي الحسن الطليطلي الذي ألفه محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية بمصر باقتراح من السلطان منسى موسى[1] .

بالإضافة إلى ما نجده عند أحمد شكري نقلا عن الأب يوسف كيوك أن مؤلفات الفقه المالكي التي عرفت ذيوعا وشيوعا بين الفقهاء والطلبة السودانيين، تتمثل أساسا في " الشفا "للقاضي عياض بن موسى السبتي ، و" المدونة " للإمام سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي و " مختصر خليل " لخليل ابن إسحاق المصري (ت 776هـ)[2] ، وكذالك رسالة أبي زيد القيرواني التي انتشرت في بلاد المسلمين حتى بلغت بلاد النوبة وبلاد السودان[3] .

ج . فقهاء المالكية :

نتحدث في هذا الشطر عن مساهمة الفقهاء المالكية في نشر المذهب المالكي ببلاد السودان و تنقلاتهم طردا و عكسا بين بلاد المغرب و بلاد السودان الغربي بين القرنين السادس والثامن هجري ، وذلك من خلال ما استقيناه من إشارات من المصادر العربية التي تتحدث بصورة غير واضحة و معمقة عن هذه التنقلات ، بل تذكره من خلال المشاهدات التي أوردها

---

[1]- التنبكتي أحمد بابا (ت 136هـ) : نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، تقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989. ص396 .

[2]- الشكري أحمد : مرجع سابق . ص215 ،216.

[3]- الطويلي أحمد : مرجع سابق . ص81.

المؤرخون و الجغرافيون المسلمون في كتبهم لطلبة السودان ببلدان المغرب أو فقهاء المالكية ببلاد السودان .

فنجد في القرن السادس للهجري ما يوضح لنا انتقال السودانيون إلى بلدان الشمال من خلال ما ذكره الزهري الذي توفي في أواسط القرن السادس حسب سياق روايته أن أهل غانة أو جناوة كما يسميهم : " و هم اليوم مسلمون و عندهم العلماء و الفقهاء و القراء و سادوافي ذلك و أتى منهم إلى بلاد الأندلس رؤساء من أكابرهم وساروا إلى مكة و حجوا و انصرفوا إلى بلادهم "[1].

كما نجد أيضا مجالسة فقهاء المالكية لملوك السودان كالسلطان منسى موسى الذي خص مجلسه في القاهرة أصله من بجاية بالمغرب الأوسط و هو القاضي شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوي[2] ، بالإضافة إلى أنه كان يجلب فقهاء المالكية و ذلك ما نجده عند العمري حيث يذكر : " و جلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك رضي الله عنه "[3] ، و يضيف لنا السعدي فيما يخص انتقال الطلبة من السودان لبلدان المغرب أن الفقيه القاضي كاتب منسى

[1]– الزهري (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ت أواسط ق6 هـ) : الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، (ب ت) . ص 196 .

[2]– العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري ت 749هـ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2002 . ج4 ، ص126 .

[3]– نفسه . ص107 .

موسى ، الذي جلس للإمامة لمدة 40 سنة أنه من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان[1] ، فبالموازاة مع هذا الإهتمام على المستوى الرسمي أبدى عدد من الفقهاء و الطلبة السودانيين رغبة ملحة لتعميق معرفتهم بالثقافة لإسلامية ، فكانوا يشدون الرحال إلى فاس للأخذ عن فقهائها[2] .

كما نلاحظ أيضا من خلال رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان و مروره بمدنها و قراها حضور جماعات المالكية بها ، حيث يذكر أثناء دخوله لأحدى قرى السودان تسمى زاغرى يسكنها من جماعة من البيضان المالكيين بقوله : " السنيون المالكيون عندهم يسمون توري"[3]، كما استقبله في عاصمة مالي جالية من المغاربة حسب سياق روايته كان كبيرهم

محمد بن الفقيه الجزولي[4] ، كما يتبين لنا من خلال وصفه لبلاط الملك منسى سليمان[5] أنه كان يعج بفقهاء المالكية خاصة المغاربة[6] .

ثالثا : فقهاء المالكية بالسودان الغربي

---

[1]- السعدي عبد الرحمان : تاريخ السودان ، تحقيق : هوداس ، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية ، باريس ، 1981 . ص57 .

[2]- الشكري أحمد : مرجع سابق . ص221 .

3- ابن بطوطة : مصدر سابق . ص236 .

[4]- ابن بطوطة : مصدر سابق. ص236 ، 237 .

[5]- هو سليمان ابن ماري جاطة أخ منسى موسى ولي مملكة مالي بعد وفاة ابن أخيه منسى ماغا (محمد) سنة 730هـ (أنظر ' القلقشندي : مصدر سابق .ج5 ، ص297).

[6]- ابن بطوطة : نفسه . ص240 .

لم تهتم كتب التراجم والطبقات المالكية بأعلام السودان المالكين في العصر الوسيط وبالتحديد قبل حلول القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي غير أننا قد تحصلنا على بعض كتابات المؤرخين التي تعطينا بعض الاشارات والمعلومات المختصرة عن فقهاء المالكية بالسودان الغربي كابن خلدون والسعدي وابن بطوطة ومن خلال هؤلاء لدينا لائحة من العلماء والفقهاء الذين أنجبتهم بلاد السودان خلال هذا العصر واعترفت كتب المصادر بمنزلتهم العلمية فنجد منهم:

. القاضي الفقيه كاتب منسى موسى من الفقهاء السودانيين الذين جلسوا للإمامة في الجامع الكبير بتمبكتو الذي جدده منسى موسى بعد عودته من الحج سنة 725هـ ، وقد مكث للإمامة أربعين سنة لم يستتب ولو في صلاة واحدة ، وهو من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لأخذ العلم بأمر من السلطان منسى موسى[1] وعاد شعلة من العلم [2].

. القاضي الفقيه عبد الرحمان من الذين استقبلوا ابن بطوطة في عاصمة مالي نياني وأحسن ضيافته والذي أثنى عليه بقوله : "بأنه من السودان حاج فاضل له مكارم الأخلاق" [3].

[1]- السعدي : مصدر سابق . ص56، 57.

[2]- الشكري أحمد : مرجع سابق . ص217.

[3]- ابن بطوطة : مصدر سابق . ص237.

. الشيخ عثمان فقيه أهل غانية (غانة) وكبيرهم علما ودينا وشهرة حج سنة 799هـ مع أهله وأثناء مروره بمصر التقى بابن خلدون حيث حدثه عن بلاد التكرور ومملكة مالي[1].

ولاشك أن بلاد السودان كانت تحفل بعدد أخر من علماء وفقهاء المذهب المالكي غير الذين أثنينا على ذكرهم لكن المصادر أهملتهم ولم تعرف بهم والدليل على هذه الحالة أن الفقيه عبد الرحمان الذي جاء بهم نسى موسى من أرض الحجاز حين رجع من الحج فنزل تمبكتو ووجدها حفلة بالفقهاء الذين تفوقوا عليه فرحل إلى فاس لدراسة الفقه المالكي ثم عاد إلى تمبكتو واستوطن بها [2].

ومن خلال كل هذا نجد أن القيروان لعبت دورا في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي حتى ولو أن حضور الفقهاء المالكين القيروانيين لم يكن مباشرا بصورة واضحة إلى أنها ساهمت في نشر المذهب المالكي بالمنطقة بالكتب الفقهية المالكية بالإضافة إلى فقهاء أخذوا العلم عن عن بعض الشيوخ المتفقهين منها .

[1]- ابن خلدون : مصدر سابق . ج6، ص266.

[2]- الولاتي (أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي) : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 . ص 13 – 176.

خـــــاتمة

خاتمة

يتضح مما سبق أن مدينة القيروان كانت إحدى المراكز العلمية التي عملت على تثبيت المذهب المالكي والعمل على نشره وبثه وذالك من خلال أعلامها الذين أنجبتهم و أصبحوا أكبر مراجع لمذهب مالك في المغرب الإسلامي .

الدور الكبير الذي قامت به القيروان في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط وجهود فقهاء المالكية في تدعيم الفقه المالكي من نشرهم لكتب الفقه وتخريجهم لعدد كبير من الفقهاء إستطاعت من خلالهم ترسيخ مذهب مالك بن أنس بالمنطقة .

حظيت المالكية بجو من التسامح الديني من طرف الخوارج الإباضية ، وهذا ساعد فقهاء القيروان على التنقل إلى المغرب الأوسط والقيام بمناظرات مع شيوخها ونشر مذهب مالك .

عمل حكام بعض دويلات المغرب الأوسط كحماد بن بلكين على ترسيخ المذهب المالكي بالمنطقة و اعتماده كمذهب رسمي في الدولة نتيجة بتأثره بالفقه المالكي القيروان .

ويبدوا أن الفقه المالكي لم يجد صعوبة في تقبله من طرف الأهالي والسكان ، لأنه فقه قائم على الواقع ، ومراعاة تقاليد وعادات القبائل وأعراف المجتمع .

ساهمت القيروان في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي بطريقة مباشرة عن طريق الكتب الفقهية مثل مدونة سحنون ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وغيرها من الكتب القفهية الأخرى ، وبطريقة غير مباشر مع دخول المرابطين والفقهاء المالكية حتى ولو أن حضور

الفقهاء المالكين القيروانيين لم يكن موجود بصورة واضحة إلى أنها ساهمت في نشر هذا المذهب بالمنطقة عن طريق فقهاء أخذوا العلم عن بعض الشيوخ المتفقهين منها .

الملاحق

ملحق رقم 01 : – كتاب أبو عمران الفاسي فقيه القيروان إلى تلميذ الوجاج بن زلو :

" سلام عليك و رحمة الله تعالى ، أما بعد إذا وصلك وصلك حامل كتابي هذا هو يحي بن إبراهيم الجدالي فابعث معه إلى بلده من تثق بدينه من تثق بدينه و ورعه و كثرة علمه و سياسة ليعلمهم القرآن و شرائع الإسلام و يفقههم و لك و له في ذلك الثواب و الأجر العظيم و الله لا يضيع أجر من أحسن عملا و السلام "[1] .

[1]- ابن أبي زرع : مصدر سابق . ص78 .

ملحق رقم 02 : موقع مدينة القيروان .

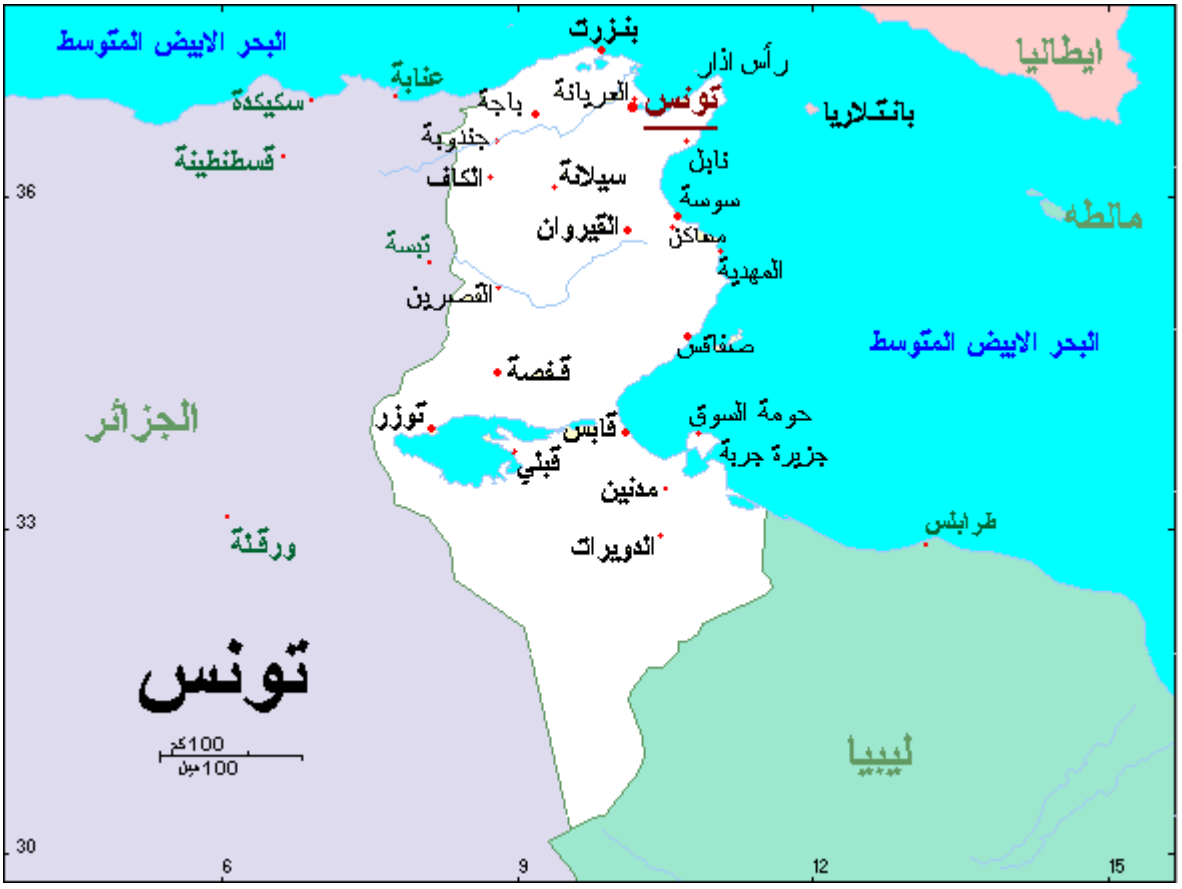

ملحق رقم 03 : خريطة السودان الغربي في القرن الخامس هجري[1] .

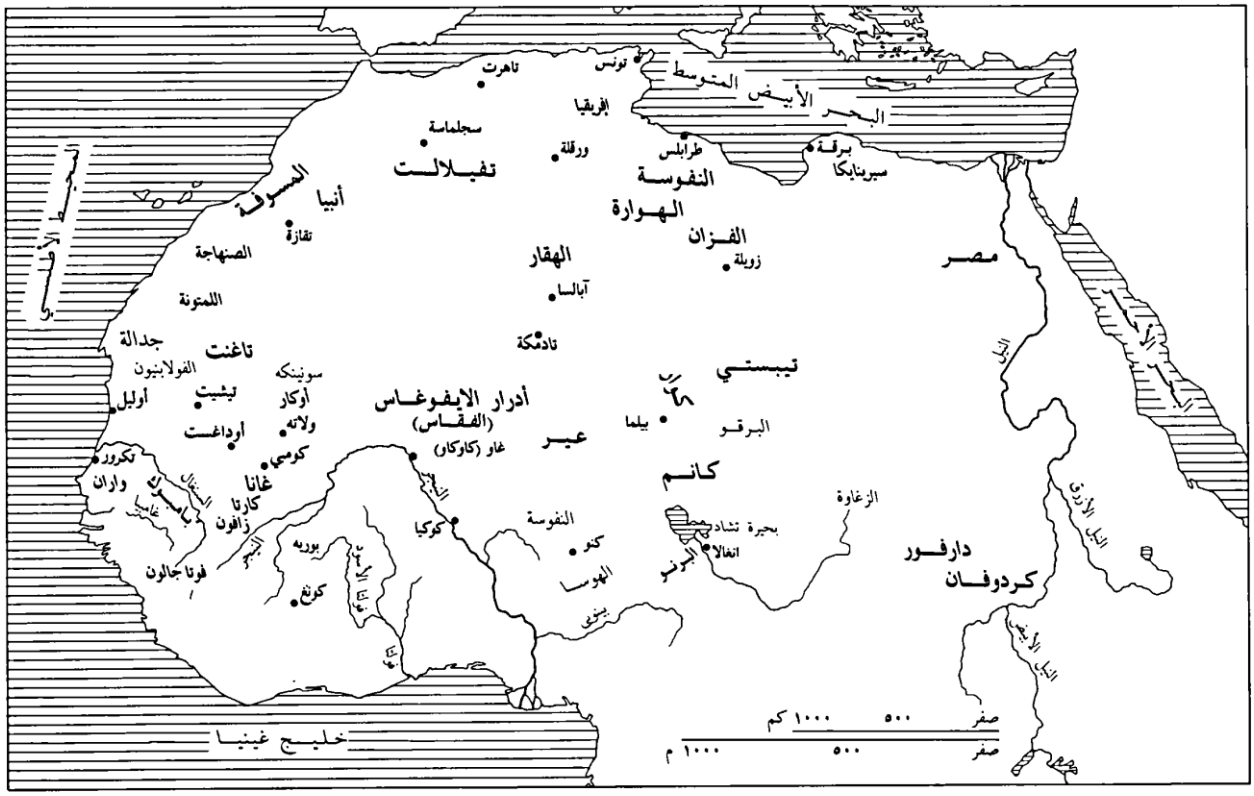

[1]- الفاسي محمد ، هربك إيفان : تاريخ إفريقيا العام ، اليونيسكو 1998 . ط2 ، ج 3 ، ص147 .

ملحق رقم 04 : مدن و قبائل السودان الغربي في العصر الوسيط[1] .

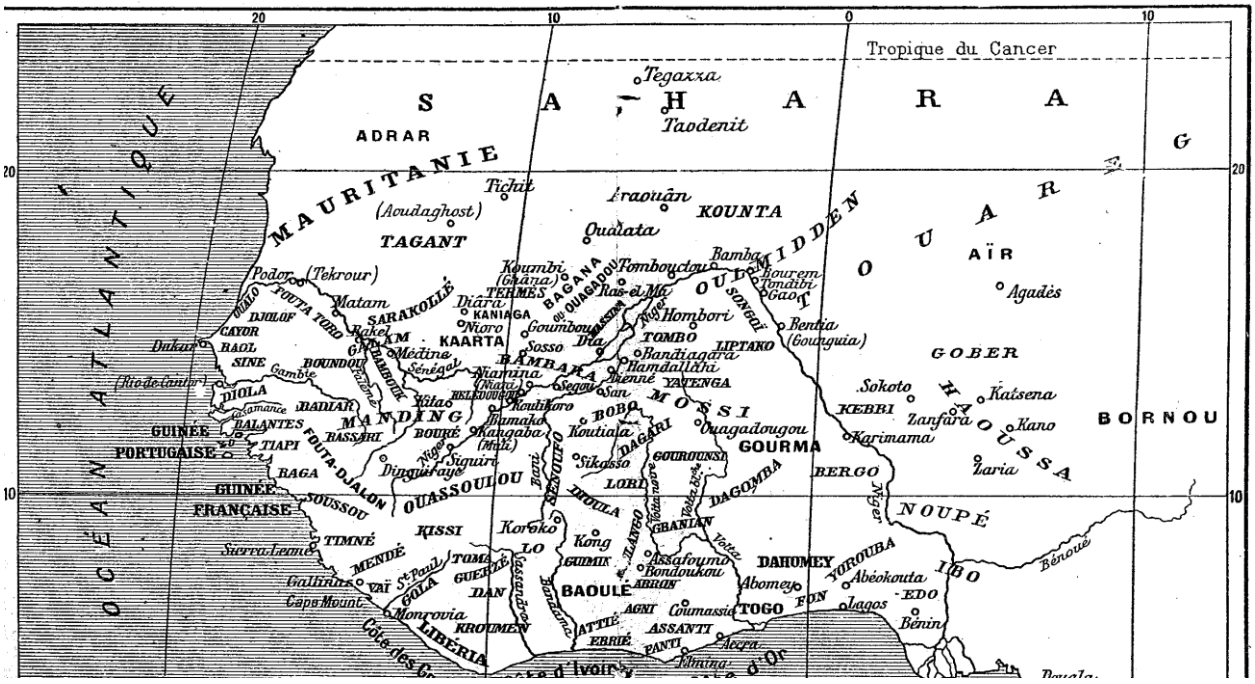

1- Delafosse Maurice : op cit . p72 .

ملحق رقم 05 : بدايات انتشار الإسلام في ببلاد السودان[1] .

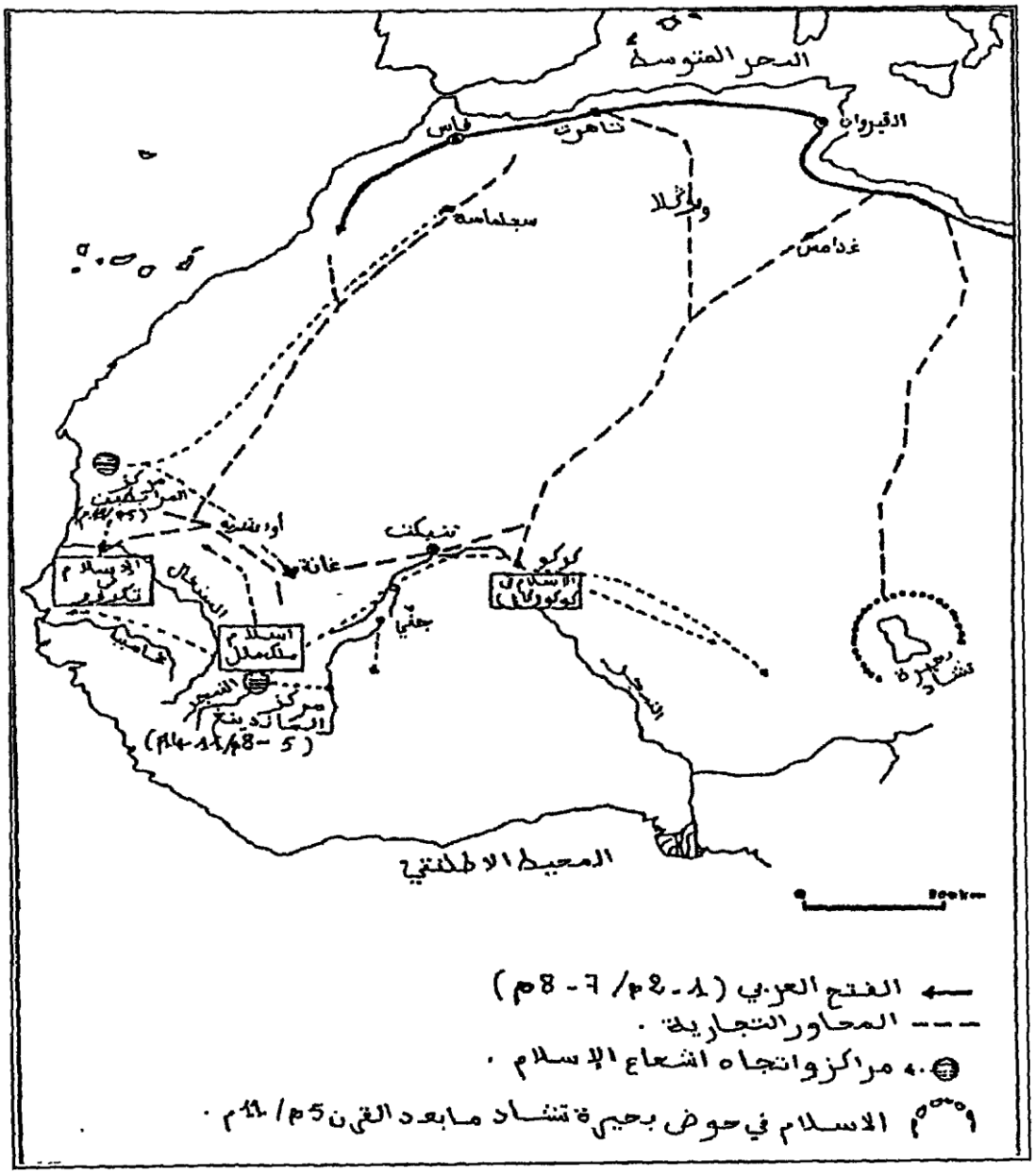

[1]- الشكري أحمد : مرجع سابق . ص89 .

ملحق رقم 06 : أنهار و روافد السودان الغربي[1] .

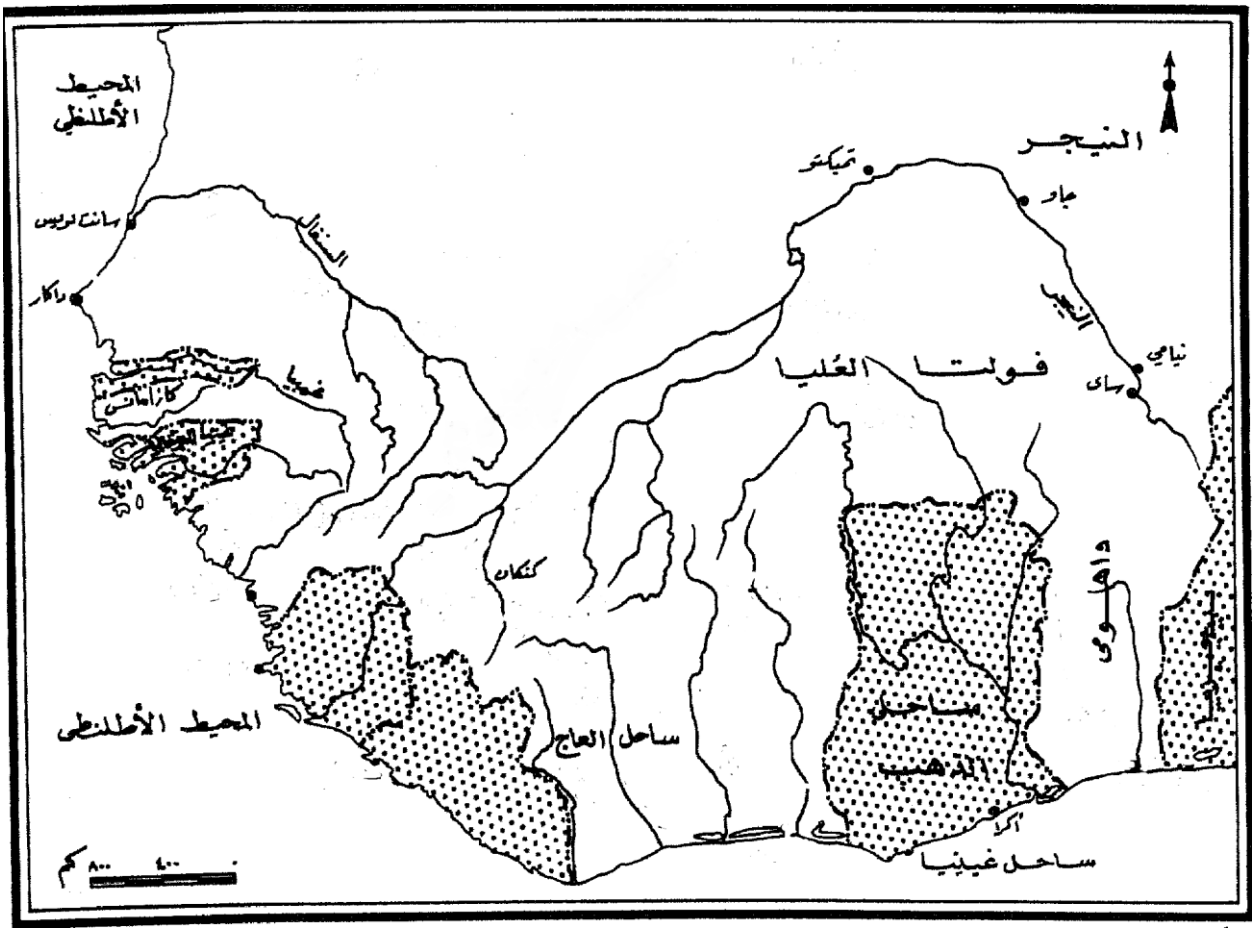

[1]- محمد علي ذهني إلهام : مرجع سابق . ص231 .

ملحق رقم 07 : الجامع الأعظم بالقيروان[1] .

[1]- أنظر :

https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/0/00/Grand_Mosque_of_Kairouan.png

ملحق رقم 08 : الماجل الأكـبر الذي بناه الأغالبة بالقيروان[1] .

[1]- أنظر :

http://www.noonpost.net/sites/default/files/styles/large/public/%D9%81%D8%B3%D9%82%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%BA%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A9.jpg?itok=S7NjkE2v

البيبليوغرافيا

أ . **المصادر** :

1- القرآن الكريم .

2- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن إدريس) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 .

3 - الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) : مسالك الممالك .(د ن م ت) .

4- الباروني (عبد الله النفوسي) الأزهار الرياضية في أئمة وأخبار الملوك الإباضية (د ن ت) .

5- ابن بطوطة (محمد ابن إبراهيم ت 719هـ) : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، المطبعة الخيرية ، (د م) ، 1322هـ .

6- ابن بشكوال (أبي القاسم ابن بشكوال ت 494هـ) : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2010 .

7- البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن محمد) : الفرق بين الفرق ، المطبعة العصرية ، صيدا لبنان،(د، ت) .

8- البكري أبو عبيد الله (ت 487هـ) : المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د.ت).

9- بن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي ت 874هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.

10- التنبكتي أحمد بابا (ت 136هـ) : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989.

11- التونسي محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل محمد عساكر ، مصطفى محمد مسعد ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1965.

12- اليتجاني أبو محمد عبد الله : رحلة التيجاني ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981.

13- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت بعد 957هـ : وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 . ط2 .

14- أبو الحسن القابسي (ت 403هـ) : الرساالة المفضلة لإخوان المتعلمين و أحكام المعلمين و المتعلمين ، تحقيق : أحمد خالد ، الشركة التونسية للنشر و التوزيع قرطاج ، تونس ، 1986.

15- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت628هـ) : معجم البلدان ، تصحيح : محمد أمين الحانجي ، أحمد بن الأمين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1906 .

16- الحميدي (أبوعبد الله محمد بن نصر ت488هـ) : جذوة المقتبس في ذكر بلاد الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،1966.

17- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي ت 367هـ) : صورة الارض ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1956 .

18- ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، محمد إبراهيم الكتاني ، دار ، الدار البيضاء ، 1964.

19- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: تحقيق :شحادة خليل ، مراجعة : زكار سهيل ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 2000 .

20- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي ت 696هـ) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله و علق عليه : أبو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ) ، تصحيح : ابراهيم شبوخ ، مكتبة الخانجي ،مصر ، 1968 .

21- الذهبي (أبي عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان ت 748هـ) : سير أعلام النبلاء اعتناء : حسان بن المنان ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004 .

22- الرقيق القيرواني (إبراهيم بن القاسم ت بعد 418هـ) : تاريخ افريقية و المغرب ، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني ، القاهرة ، 1994 .

23- ابن أبي زرع (أبي الحسن علي ابن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي) : الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس ، ترجمة وتصحيح : كارل يوحن تورنبرغ ، دار الطباعة المدرسية ، مدينة اوبسالة ، 1843.

24- الزهري (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ت أواسط ق 6 هـ) : الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، (ب ت) .

25- السعدي عبد الرحمان : تاريخ السودان ، تحقيق : هوداس ، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية ، باريس ، 1981.

26- الشهرستاني(محمد بن عبد الكريم ت 548هـ) : الملل والنحل ، صححه وعلق عليه : أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1992. ط2 .

27- ابن الصغير (ق 3هـ): أخبارالأئمة الرستميين ، تحقيق : محمد ناصر ، إبراهيم بحاز ، (د م ت ن) .

28- الضبي (أحمد بن عميرة ت 599هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل

الأندلس ، تاريخ الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989.

29- ابن عبد الحكم (ت 257هـ) : فتوح مصر و المغرب ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، شركة الأمل للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د ت) .

30- عبد الواحد المراكشي : المغرب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد زينهم ، محمد عزب ، دار الفرحاتي ، القاهرة . ص287 .

31- ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج . س كولان ، إ . ليفي برونفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 . ط3 .

32- أبو العرب (محمد بن أحمد بن التميم التميمي ت 333هـ) : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، لبنان .

33- ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت 580هـ) : النبلاء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق: القاسم السامرائي ، دار الأفاق العربية ، القاهرة، مصر ، 1999 .

34- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري ت 749هـ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2002 .

35- القاضي عياض (أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت 544هـ) : ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تصحيح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية بيروت ،1998 .

36- ابن فرحون المالكي (ت 799هـ) : الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : أحمد عبد الرحمن ، دار التراث ، القاهرة (د ت) .

37- ابن الفرضي (ابو الوليد عبد الله بن محمد ت 403هـ) : تاريخ عهد الأندلس ، تحقيق : بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي، تونس ،2008 .

38- القزويني (زكريا بن محمد ت 682هـ) : أثار البلاد وأخبار العباد . طبعة مكتبة المصطفى الإلكترونية .

39- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت 821هـ) : صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، تحقيق : عبد القادر زكار ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1973 .

40- ابن قنفد القسنطيني (أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن خطيب) : الوفيات ، تحقيق: عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د ت) .

41- الإمام مالك : الموطأ برواية علي بن زياد التونسي ، موطأ مالك برواية علي بن زياد التونسي ، تقديم و تحقيق : النيفر محمد الشاذلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1980.

42- المالكي (أبي عبد الله بن محمد المالكي) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ، تحقيق : بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 . ط2 .

43- مجهول (ق 8هـ) : الحلل الموشية في ذكر الأحبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار ، عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ،1979 .

44- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار (جزء وصف إفريقية) . (د ن م ت) .

45- المسعودي (أبي الحسن علي) : مروج الذهب و معادن الجوهر، مراجعة : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت (د ت) .

46- الوزير المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت 418هـ) : الإيناس في علم الأنساب ، إعداد : حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، 1980

47- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ) : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2000 .

48- ـــــ : المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1987.

49- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، (د ت) .

50- الناصري (أبو العباس أحمد ابن خالد ت 1315هـ): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997.

51- الولاتي (أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي) : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 .

52- اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن وهب بن جعفر بن واضح بن أبي يعقوب ت 284 هـ) : البلدان ، مطبع بريل ّ، مدينة ليدن ، 1806 .

ب . المراجع العربية و المعربة :

1- إسماعيل محمود عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب ، حتى منتصف القرن الرابع هجري : دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1985.

2- برايما باري عثمان : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين ، القاهرة ، 2000 .

3- بروكلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ، منير بعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1973. ط5 .

4- البعلبكي منير : معجم أعلام المورد ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، 1991م .

5- بوعزيز يحي : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995.

6- الجمل شوقي ، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله : دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة ،1998.

7- الجمل شوقي وآخرون : الموسوعة الإفريقية ، تقديم : رجب محمد عبد الحليم ، جامعة القاهرة ، 1997 .

8- جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الأوسط خلال (ق3 و4 هـ) ، المطبوعات الجامعية ، (د م ت) .

9- الجيدي عمر . مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، الهلال العربية ، الرباط ، 1993 .

10- الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام . دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1965. ط2 .

11- أبو حبيب سعدي : سحنون مشكاة نور و علم و حق ، دار الفكر ، دمشق ، 1981 .

12- حركات إبراهيم : مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب الإسلامي حتى ق 9هـ/ 15م ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م .

13- الحريري محمد عيسى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (160 – 296هـ) ، دار القلم ، الكويت . 1987.ط3 .

14- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي ، مكتبة النهضة ، القاهرة، 1996. ط4 .

15- حسن محمد نبيلة : في تاريخ الحضارة الإسلامية بغرب إفريقيا . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، (د ت) .

16- حنفي عبد المنعم : موسوعة الفرق و الجماعات الإسلامية ، دار الرشيد ، القاهرة ، 1993 .

17- حوالة بن أحمد يوسف ، الحياة العلمية في إفريقية : جامعة أم القرى ، 2000.

18- - الدالي الهادي مبروك :التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء،الدار المصرية اللبنانية ،الإسكندرية، مصر، 1996م .

19- دندش عبد اللطيف عصمت : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 .

20- الرافعي مصطفى : حضارة العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (د ت) ، 1983 . ط2 .

21- الرسيوني احمد : نظرية المقاصد عن الإمام الشاطبي ، دار الأمان ، (د م) ، 1991.

22- الزبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د ت) .

23- أبو زهرة محمد : أبو حنيفة و عصره ، دار الفكر العربي ، (د م ت) .

24- ـــــ : مالك حياته و عصره آراؤه و فقهه ، دار الفكر العربي ،(د ت م) .

25- ـــــ : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د، ت) .

26- زيتون محمد محمد : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، 1988 .

27- زينب نجيب : الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، تقديم : أحمد ابن سودة ، دار الأمير ، بيروت، 1995 .

28- سعدون عباس نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985.

29- سلمان نصر : من أعلام المذهب المالكي ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2011 .

30- الشرقاوي عبد الرحمان : ائمة الفقه التسعة ، دار الشروق ، القاهرة ، 1991 .

31- الشكري أحمد : الإسلام والمجتمع السوداني : إمبراطورية مالي (1230 – 1430م ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1999.

32- الصلابي علي محمد : الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي : مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، 2007 .

33- أحمد الطالبي : تراجم أغلبية (مستخرج من مدارك القاضي عياض) ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس ، 1968 .

34- الطويلي أحمد : تاريخ القيروان الثقافي و الحضاري ، منشورات المتوسط ، تونس ، 2009 .

35- عبد الماجد إبراهيم عبد الله : الغرابة ، دار الحاوي للنشر و التوزيع ، (د م) 1998 .

36- عزب محمد زينهم محمد : الإمام سحنون ، تقديم : حسن مؤنس ، دار الفرجاني ، القاهرة ، 1992 .

37- عمارة علاوة : دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر . 2008 .

38- الفيتوري مخزوم عطية : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة قان يونس ، بنغازي ،1998.

39- فيج .جي .دي : تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة : السيد يوسف نصر ، مراجعة : بهجت رياض صليب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982 .

40- لقبال موسى : المغرب الإسلامي ، الشركة الوكنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 . ط2 .

41- بن محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسيين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1982.

42- ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف ت 1360هـ) : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تحقيق : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

. 2002

43- محمد جمال الدين عبد الله : الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر. دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1991م .

44- محمد علي ذهني إلهام : جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 – 1914) ، دار المريخ ،الرياض ، 1988 .

45- أبو مصطفى كمال السيد : جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى معيار الونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996.

46- معشاشة سعيد أبو عبد الرحمان : المقلدون و الأئمة الأربعة رحمهم الله ، دار ابن حزم ، بيروت 1999 .

47- نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر) ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980 . ط2 .

48- هروس مصطفى : المدرسة المالكية الأندلسية ، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، المغرب ، 1997 .

49- الهنتاني نجم الدين : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي ، دار تبر الزمان ، تونس ، 2004 .

3- المراجع الأجنبية :

1- Delafosse Maurice : les Noire de l'Afrique, Paris, 1941.

2- Trimingham Spenser : Islam In west Africa , oxFord , London , 1962 .

4- الرسائل و المذكرات الجامعية :

1- لوزيري سعيدة: المذهب المالكي في المغرب الأوسط – دخوله و انتشاره – (ق 3 – 5هـ) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف : بشاري لطيفة بن عميرة ، جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2009 – 2010 .

2- وشن مزيان : مدرسة عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكية و أثرها العلمي في المغرب الإسلامي ، رسالة ماجيستر في التاريخ الوسيط ، إشراف : سامعي إسماعيل جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2006 – 2007 . ص31 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء وشكر وعرفان

مقدمة 01

الفصل الأول : إ نتشار المذهب المالكي بالقيروان 09

المبحث الأول : نبذة جغرافية وتاريخية عن مدينة القيروان 09

أولا : تحديد الموقع ووصف المصادر العربية لها **09**

ثانيا : تأسيس مدينة القيروان **14**

المبحث االثاني : إ نتشار المذهب المالكي بمدينة القيروان 17

أولا : نشأة المذهب المالكي 17

أ- التعريف بالإمام مالك 17

ب- تعريف المذهب المالكي 19

ج- خصائصه 20

ثانيا : المذهب المالكي بالقيروان 20

المبحث الثالث : أهم أعلام المالكية بالقيروان 26

أولا : الإمام سحنون **26**

أ- التعريف به 26

ب- نشأته في طلب العلم.....27

ج- مؤلفاته وأعماله.....28

* مؤلفاته 28

* أعماله 29

د- وفاته 30

ثانيا : بن أبي زيد القيرواني 31

أ- التعريف به 31

ب- شيوخه وثناء العلماء عليه 32

ج- مؤلفاته وآثاره العلمية 34

د- وفاته 34

الفصل الثاني : دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الاوسط 37

المبحث الأول : تحديد الإطار جغرافي و السياسي للمغرب الأوسط.....37

أولا : الإطار جغرافي.....37

ثانيا: الإطار السياسي 41

أ- الدولة الرستمية 41

ب- الدولة الفاطمية 43

ج- الدولة الحمادية 44

المبحث الثاني : دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط 45

أولا : المذاهب الفقهية بالمغرب الأوسط قبل ظهور المذهب المالكي 45

ثانيا : دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط 47

أ- دور الإمام سحنون وشيوخ عصره 47

ب- دور بن أبي زيد القيرواني وطلبته 50

المبحث الثالث : أعلام الفقه المالكي بالمغرب الأوسط 54

أولا : بكر بن حماد 54

أ- التعريف به ونشأته في طلب العلم 54

ب- أعماله 56

ج- وفاته 57

ثانيا : أحمد بن ناصر الداودي 57

أ- التعريف به 57

ب- مؤلفاته 58

ج- وفاته 59

الفصل الثالث : دور القيروان في نشر المذهب المالكي بالسودان الغربي.....61

المبحث الأول : دراسة جغرافية وبشرية للسودان الغربي 61

أولا : الموقع الجغرافي 61

ثانيا : السلالات وأهم القبائل 65

أ- الفولاني 66

ب- الماندينغ 67

ج- الجولوف 68

المبحث الثاني : إسهامات القيروان في إيصال المذهب المالكي إلى بلاد السودان الغربي.....68

أولا : إنتشار الاسلام في السودان الغربي قبل ق5هـ 68

ثانيا : مساهمة القيروان ودول المغرب الإسلامي في نشر المذهب المالكي.....71

أ- الحركة المرابطية 71

ب- كتب الفقه المالكي 75

ج- فقهاء المالكية 75

ثالثا : فقهاء المالكية السودانيين.....78

خـــــاتمة 82

الملاحق 85

الببليوغرافيا 94

فهرس الموضوعات 109